محمود صلاح

أشهر الحوادث والقضايا



طلاق الملك أحمد فؤاد

وحوادث أخرى



اشهر

الحوادث والقضايا

•

الحوادث العنيفة
والقضايا المثيرة
التى روعت الناس
وصدمت المشاعر

•

بقلم

أ. محمود صلاح

•

إشراف

أ. حمدى مصطفى

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ـ المطابع ٨٠ ، ١٠ شارع المنطقة الصناعية بالعباسية ـ منافذ البيع : ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة ـ القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ ـ ٥٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ . فاكس : ٢٠٢/٢٥٩٦٦٥٠ ج.م.ع ـ ٤ شارع بدوى محرم بك ـ الإسكندرية .





اشهر

الحوادث والقضايا

•

الحوادث العنيفة
والقضايا المثيرة
التى روعت الناس
وصدمت المشاعر

طلاق الملك أحمد فؤاد

وحوادث أخرى

محمود صلاح



المقدمة

عندما تغضب الدنيا ..

تثور ثائرتها .. زلازلاً .. وفيضانات .. وسيولاً ..

وعندما تعمى بصيرة الإنسان ..

يشيع العنف على الأرض .. حوادثًا وحرائقًا ونارًا ..

لكنه أبدًا لا يتعظ ..

لا من غضب الدنيا ..

ولا من شر أعماله !

محمود



لعنة الطلاق لا تريد أن تفارق العائلة الملكية السابقة منذ حكم محمد على باشا مصر ، وحتى بعد سقوط الملكية وخروج الملك فاروق من مصر ، لا يزال شبح « أبغض الحلال » يطارد أولاد فاروق . وبالتحديد ابنه الوحيد الأمير السابق أحمد فؤاد !

إن أحمد فؤاد الذى عاش بين سويسرا وفرنسا ، وسلطت عليه أضواء الصحافة قبل سنوات عند زواجه من الحسناء الفرنسية اليهودية دومنيك فرانس بيكار ، والتى اعتنقت الإسلام وأصبح اسمها (فضيلة) . أنجبت له ولدين وبنتًا ، عاد أحمد فؤاد من جديد لتلاحقه الصحافة ، ولكن هذه المرة بسبب طلاقه من زوجته ، التى استمتعت لسنوات فى الحفلات الباريسية بمناداة الناس لها بلقب « سمو الأميرة » .

وها هو أحمد فؤاد من سويسرا يقرر حرمان مطلقته من « اللقب اللذيذ » ، ويصدر « ديكريتو » ينذرها فيه بتجريده لها من هذا اللقب الملكى .. السابق !

وقبل أن ننشر النص الكامل لديكريتو أحمد فؤاد ، لا بد أن نتذكر أن مسألة الطلاق ليست جديدة على هذه العائلة ؛ ففى أثناء حرب فلسطين صدر بيان رسمى من الديوان الملكى يعلن طلاق الملك فاروق والملكة فريدة ، وتضمن البيان نفسه إعلان طلاق الأميرة فوزية أخت فاروق من شاه إيران محمد رضا بهلوى .. ثم بعد طرده من مصر بعام واحد طلق الملك فاروق زوجته الثانية ناريمان .

فما هى قصة طلاق الأمير السابق أحمد فؤاد من زوجته (فضيلة) ؟

ولماذا قرر أخيرًا حرمانها من لقب أميرة ؟

قبل الطلاق .. لا بد أن يكون هناك زواج !!

ويبدو أن قدر أحمد فؤاد كان قد رسم له أن يعيش حياة مثيرة ، حتى وقت أن كان طفلاً رضيعًا ، حيث غادر مصر مطرودًا على ذراعى الملكة ناريمان برفقة والده الملك السابق فاروق الذى أطاحت به ثورة ٢٣ يوليو ولم يمض أكثر من عام حتى حدث الطلاق بين فاروق وناريمان وأصبح مكتوبًا على أحمد فؤاد أن ينشأ فى رعاية مربيته الأجنبية وأخواته البنات الثلاث اللاتى عشن فى سويسرا .

كان الملك فاروق على علاقة صداقة بالأمير فيليب رينيه أمير موناكو ، وقيل إنه أعطاه ٤٠ ألف جنيه استرلينى فى ذلك الوقت ؛ ليمنح ابنه الطفل أحمد فؤاد جنسية إمارة موناكو ، لكن الذى حدث أن أميرة موناكو الراحلة الممثلة العالمية الشهيرة جريس كيلى تولت رعاية الصغير أحمد فؤاد ، وأصبحت بالنسبة له بمثابة « أم بديلة » ، حتى إنها اختارت له أن يدرس الاقتصاد والعلوم السياسية فى كلية « روزى » بسويسرا وهى نفس الكلية التى تخرج منها زوجها أمير موناكو .

وفى هذه الكلية التقى أحمد فؤاد بالمصادفة لأول مرة مع الحسناء (دومينيك) ، المراهقة الفرنسية الحسناء .. خمرية اللون يهودية الديانة والتى حضرت مع والدها اليهودى من باريس لتشهد حفل تخرج طلاب الكلية ، وكانت أخت أحد هؤلاء الطلاب ، وكان أحمد فؤاد صديقًا وزميلاً لشقيقها .

وفى اللحظة الأولى خلبت (دومنيك) لب أحمد فؤاد بجمالها الذى يميل إلى الجمال الشرقى ؛ لأن عائلتها لها جذور تركية .

● وقال لها على الفور : أنت تشبهين أميرات .. عائلتى !

★ ★ ★

وإذا كانت قصص الحب والزواج تبدأ بنظرة فابتسامة وموعد ، فإن قصة أحمد فؤاد .. فضيلة بدأت بالنظرة والابتسامة ، أما الموعد فقد جاء بعد ذلك مصادفة أخرى ، عندما التقى الاثنان بالصدفة فى مطار شارلى ديجول ، وفى أثناء انتظار الطائرة ، لم يبدد أحمد فؤاد الوقت ، ولم تضيع (دومنيك) الفرصة ، ففتح كل منهما قلبه للآخر ، الأمير السابق والشابة الفرنسية الحسناء ، التى كان الجميع من حولها يعرفون أن لديها ميولاً أرستقراطية ، وأنها تعشق حياة أميرات وأمراء العائلات المالكة الحالية والسابقة فى أوروبا ، وعندما حان موعد الطائرة كان الاثنان قد اتفقا على الزواج !

الزواج .. ليس هو حفلة الزفاف الجميلة !

الزواج رحلة حياة صعبة مليئة بالأشواك ، ولا علاقة له مطلقًا بليلة فرح العروسين ، لكن ذلك لا يخطر على بال أى عروسين ، بالتأكيد فإنه لم يخطر على بال أحمد فؤاد ولا دومنيك ، كانت فترة الخطوبة قد استغرقت حوالى سنة ، خلالها أشهرت (دومنيك) إسلامها على يد الشيخ عبد الحميد عامر إمام مسجد باريس .

اختار لها أحمد فؤاد اسمًا عربيًا هو (فضيلة) ، والغريب أن هذا الاسم كان الديوان الملكى السابق قد اختاره خلال فترة حمل الملكة ناريمان ، ليطلق على أحمد فؤاد ، إن جاء بنتًا !

ولم تكن ليلة زفاف أحمد فؤاد وفضيلة ليلة من ليالى ألف ليلة وليلة ، لكنها كانت نسخة عصرية من ذلك ، فقد أقيم حفل الزفاف فى قاعة « المرايا » فى قصر أمير موناكو .

فى تلك الليلة كان عمر أحمد فؤاد ٢٥ سنة .

وكانت فضيلة تكبره بنحو ثلاث سنوات .

وبينما هى كانت تسير إلى جواره فى القاعة ذات الزخارف الشرقية ، كانت تبدو وكأنها ستطير من فوق الأرض ، وهى ترتدى فستان الزفاف .

وتحوط وجهها باليشمك التركى .

تمامًا مثل أميرات تركيا زمان !

* * *

وعاش الزوجان فى شقة فى عمارة قديمة بشارع فوش بباريس .

الشقة كما وصفها الذين زاروهما ذات أثاث كلاسيكى فاخر ، وبها لوحة زيتية لمحمد على باشا الكبير ، رسمها الفنان الفرنسى الشهير (كوبلير) بأمر من ملك فرنسا لويس فيليب الذى كان صديقًا للجد محمد على باشا ، وعلى جدار آخر صورة فوتوغرافية رسمية للملك فاروق .

والحق أن أحمد فؤاد لم يكن ـ عكس زوجته ـ يحب الظهور علانية كأمير سابق ، كان متحفظًا فى تلك الناحية ، وقد اختار أن يمارس مهنة أو وظيفة مثل أى شخص عادى ، وبالتحديد فقد اختار العمل فى مجال سمسرة العقارات ، وهو عمل مربح فى أوروبا .

كما عمل مستشارًا اقتصاديًا لبعض الشركات الأمريكية ، لكن هذه الشركات لم تكن تعطه مرتبًا فقط من أجل استشارات ، بل إنها كانت تستغل لقب (أمير سابق) الذى يحمله أحمد فؤاد !

أحمد فؤاد بطبيعته شخص يميل إلى الصمت أكثر من الكلام ، لهذا كان يرفض ـ باستمرار ـ إجراء أحاديث صحفية معه ، وقيل إنه رفض عرضًا من شركة فى هوليود بمبلغ ١٠ ملايين دولار لعمل فيلم عن والده الراحل الملك فاروق !

لكن فضيلة كانت على العكس !

كانت مثل كثيرات من الجميلات ذات مزاج حاد ولغة أكثر حدة ، وكانت تحب الحديث إلى الصحافة ، وتشعر بسعادة غامرة عندما يناديها الناس فى الحفلات بـ (سمو الأميرة) ، وقيل إن الملكة السابقة ناريمان كانت تشعر بالغضب من تصرفات زوجة ابنها فضيلة !

وعندما حملت فضيلة لأول مرة ، أراد أحمد فؤاد أن يولد أول أولاده فى مصر ، وقد وافقت السلطات المصرية على ذلك ، وبالفعل حضرت فضيلة إلى مصر ، وأنجبت ابنهما الأول (محمد على) واستخرجت له شهادة ميلاد مصرية .. من مكتب صحة الدقى !

* * *

بعد الابن الأول جاءت البنت الأولى.. وأعطاها أحمد فؤاد اسم أخته .. فوزية .. ثم جاء الولد الثانى وأسماه فخر الدين !

بدأت عواصف المشاكل تهب على بيت أحمد فؤاد ، فى البداية لم يكن أحد يعلم شيئًا عن بذور الشقاق والخلافات التى بدأت توسع الهوة بين أحمد فؤاد وفضيلة ؛ ربما لأن أحمد نفسه شخص صامت بطبيعته .

لكن أحدًا لم يعلم بالقطع أسباب الخلافات الرئيسية .

كل ما حدث أن الناس ذات صباح عرفوا أن أحمد فؤاد هجر بيت الزوجية ، وترك شقة شارع فوش بباريس لفضيلة وأولادها الثلاثة !

كان قد أصيب بنوبة اكتئاب فظيعة .

حتى إنه دخل أحد مستشفيات بباريس .

لم يكن لحظتها يستطيع أن يتذكر اسمه !

* * *

كيف خرج أحمد فؤاد من هذه الدوامة ؟

الناس لا تعرف غير أنه توجد قضية طلاق بينه وبين زوجته السابقة فضيلة ، لكن بعد ٦ سنوات من الصمت تحدث أحمد فؤاد عن تجربة الطلاق المريرة ، بعد أن نجحت مجلة (بوانت دى فو) الفرنسية المتخصصة فى أخبار الأسر المالكة فى إقناعه بالحديث .

وقالت المجلة إن أحمد فؤاد يعيش حياة بسيطة متواضعة على شاطئ بحيرة ليمان فى سويسرا ، بعد أن فقد كل شىء باستثناء حب شقيقاته الثلاث فريال وفوزية وفادية ، واجتيازه تجربة الاكتئاب الصعبة بفضل هذا الحب الأخوى .

وقال أحمد فؤاد للمجلة إنه انفصل عن زوجته (فضيلة) فى شهر فبراير من عام ١٩٩٦ بعد ١٨ سنة من حياة زوجية فاشلة ، رغم أن

الحقيقة أنه فرض هذا الزواج على أسرته ، وبعد الانفصال دخل مستشفى فى باريس فى حالة سيئة ، اتصل بأخواته الثلاث اللاتى يعشن فى سويسرا لمساعدته ، وبفضل حنانهن ورعايتهن استطاع أن يتجاوز هذه المحنة ، لكن ذلك استغرق سنوات .

قال أحمد فؤاد : كانت سنوات صعبة جدًا .. ولم تكن عندى أية رغبة فى الظهور على الملأ ، لكن الآن لا بد من ظهورى لأضع حدًا للشائعات التى دارت حولى ، وكانت هناك شائعة أننى مت ، وفى نفس الوقت ظهر شقيقان مصريان من أصل سورى من عائلة شديد يعيشان فى جنيف ، ويخدعان من حولهما حيث يطلق أحدهما على نفسه لقب صاحب السمو الملكى الأمير أحمد فؤاد منتحلاً شخصيتى أو شخصية أخى غير الشقيق .

• وأضاف أحمد فؤاد : لقد تقدمت بطلب للطلاق من فضيلة فى أغسطس ١٩٩٦ أمام محكمة فوفى ، ومنذ ذلك التاريخ عملت زوجتى كل ما فى وسعها لرفض هذا الطلاق ، وأتصور أنها لاتريد أن تفقد اللقب ، حتى إنها غيرت المحامين ١٣ مرة ؛ مما مكنها من الحصول على المزيد من التأجيل للنطق بالحكم فى قضية الطلاق ، أعرف أن قرارى بالانفصال عنها كان له وقع صعب على أولادى محمد على (٢٢ سنة) وفوزية (١٩ سنة) وفخر الدين (١٤ سنة) ، لقد وجد الأولاد صعوبة فى فهم قرارى بالانفصال عن أمهم ، فقد كانوا لا يزالون صغارًا ، لكن لم أكن أعرف ما الذى كان يمكن أن يحدث لى إذا لم أتخذ هذا القرار !

• وأضاف أحمد فؤاد : لقد رأيت فوزية وفخر الدين عدة مرات ، لكن للأسف لا توجد لى اتصالات مع ابنى الكبير محمد على ، لكننى متأكد من أن الأولاد كلهم يتمتعون بالذكاء ، وأتمنى من كل قلبى أن ينجحوا فى حياتهم ، وأن يتفهموا أسباب قرارى بالانفصال عن أمهم .

هو التاريخ .. يعيد نفسه !

• هكذا أكد أحمد فؤاد : لقد عشت هذا الموقف فى طفولتى .. لأن والدىّ انفصلا عندما كان عمرى سنة واحدة ، وعادت أمى إلى مصر وبقيت مع أبى فى أوروبا ، وعندما كبرت أدركت أنه لم يكن هناك حل آخر ، واليوم أقابل أمى بسعادة كبيرة ، لكنها ليست فى حالة صحية طيبة .. أما زوجتى السابقة فضيلة فلم ألتق بها منذ بدء إجراءات الطلاق سوى مرة واحدة أو مرتين ، ولا توجد لى أية علاقات بها ، ولقد حاولت كثيرًا بحث إمكانية أن يقتصر الأمر على الانفصال من أجل مصلحة أولادى ، لكن للأسف الشديد لم يكن هناك شىء يمكن عمله ، لم تكن لدينا نفس المفاهيم تجاه الحياة ، بل لم يكن لدينا نفس الاهتمامات .

• وأضاف : من أجل هذا قررت أن أعيش فى سويسرا حتى أتمتع بالدعم المعنوى والأدبى من شقيقاتى ، وأحمد الله أنه أعطانى شقيقات يشعرن بالحب الحقيقى تجاهى ، وقد نجحن فى إنقاذ حياتى ، لقد كنت فى حالة سيئة للغاية عندما دخلت المستشفى فى باريس ، حتى إننى لم أكن أستطيع وقتها أن أتذكر

اسمى ، وفى لحظة صفاء كتبت رسالة إلى أختى فريال التى حضرت على الفور وأخذتنى معها إلى سويسرا ، وعندما خرجت من المستشفى لم أكن أملك حتى فرشاة للأسنان أو جواز سفر لأن فضيلة احتفظت بكل شىء : شقة باريس ، أثاث البيت ، لوحاتى والمجوهرات القليلة التى بقيت لى ، وكذلك حساباتى فى البنوك ؛ لأنها كان لديها توكيل منى ، وعندما رحلت عن البيت تركت كل شىء ، حتى نظارتى وساعتى . والشىء الوحيد الذى بقى لى مجموعة من ٤٠٠ قطعة من الذهب ، وقد أخذتها المحكمة ولم أعد أملك مليمًا واحدًا !

* * *

فى قضية الطلاق ..

تزعم فضيلة أن أحمد فؤاد يخفى ملايين وملايين استطاع والده الراحل الملك فاروق تهريبها إلى خارج مصر .

لكن أحمد فؤاد يرد على ذلك قائلا : إذا كانت لدى ملايين مخبأة كما تزعم زوجتى .. هل كنت سأعيش فى استديو صغير فى سويسرا .. تدفع شقيقاتى إيجاره كل شهر ؟!

هذا هو حال أحمد فؤاد اليوم ..

وربما لهذا لم يعد لديه (كأمير سابق) سوى أن يصدر الديكريتو الذى أصدره قبل أسابيع ليغيظ مطلقته فضيلة .. أو ربما ليأخذ منها اللقب الذى تحبه !

وقد كتب فى هذا الديكريتو يقول : نحن أحمد فؤاد الثانى ابن المرحوم صاحب الجلالة فاروق ملك مصر .. قررنا بصفتنا رأس الأسرة المالكة تجريد السيدة دومنيك فرانس بيكار المعروفة باسم فضيلة من كل حقوق لقب صاحبة السمو الملكى أميرة مصر ، وادعاء السيدة بيكار وتقديم نفسها بهذا اللقب لا يستند على أية قاعدة قانونية حسب قانون الأسرة المالكة السابقة لمصر ، لأننا والسيدة المذكورة قد انفصلنا منذ عام ١٩٩٦ .

والديكريتو .. صادر فى مقاطعة فور بسويسرا ، بتاريخ ٦ مارس سنة ٢٠٠٢م .

* * *

نعم .. طلاق المحاكم .. بهدلة !

حتى لو كان الزوج أميرًا سابقًا .

ولو كانت الزوجة .. تحلم بأن تكون أميرة !



أحمد فؤاد طفلاً مع والده (الملك فاروق)



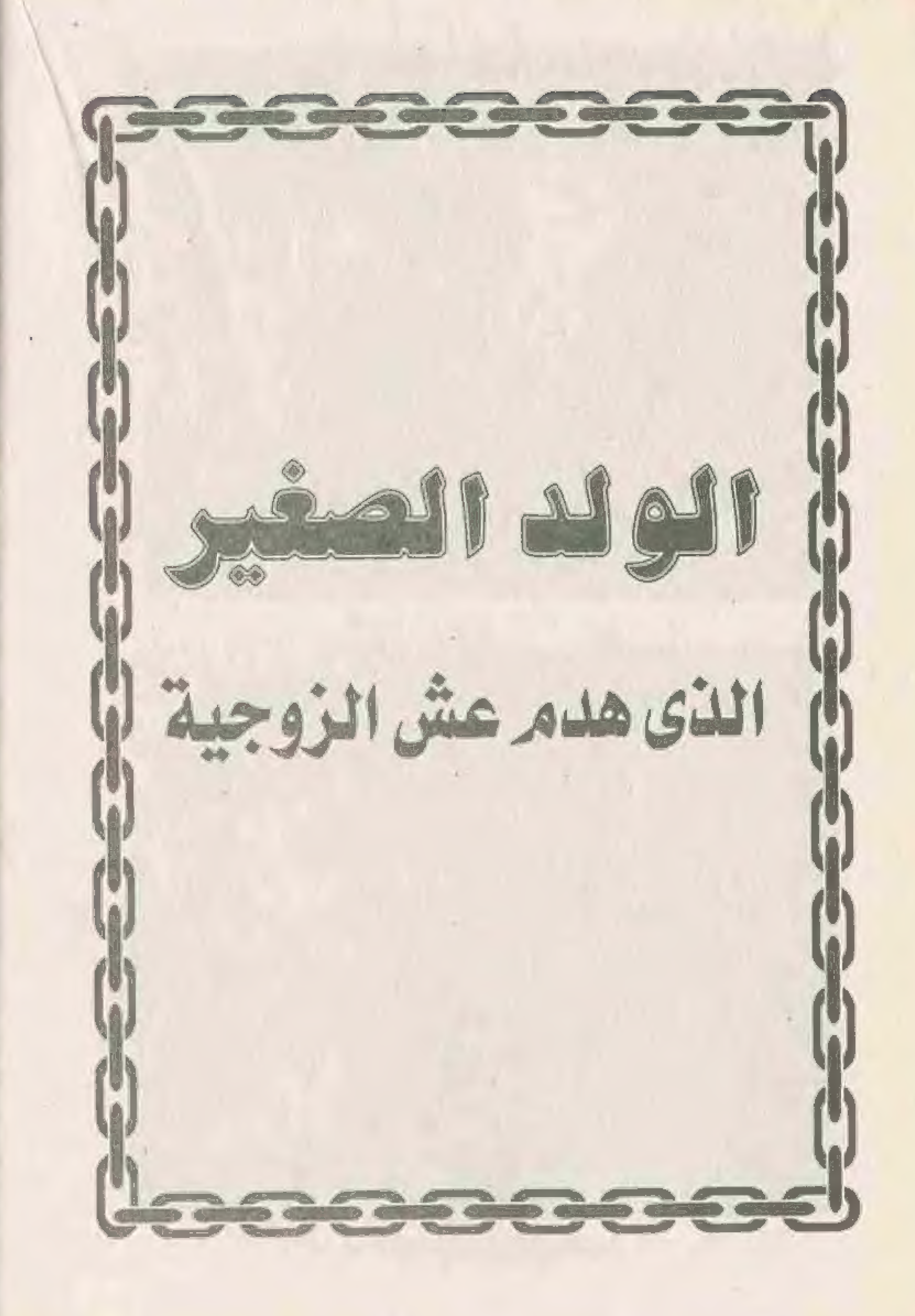
الملك أحمد فؤاد مع الأميرتين (فريال وفادية)



فضيلة مع ابنها محمد على



فضيلة مع ابنتها (فوزية أحمد فؤاد)



إنها قصة حب وزواج .. ثم طلاق . .

أبطالها : زوج .. وزوجة .. وطفل صغير .

الزوج : كان رجلاً عاديًا يمتلك محلاً للتجارة .. كان ناجحًا فى عمله ، وكان له أصدقاء مخلصون ، لكن قلبه كان خاليًا .. فهو لم يلتق بعد بالفتاة التى يحلم بها ، ليس لأنه كان يطلب المستحيل ، بل لأن المواصفات التى كان يريدها فى زوجة المستقبل كانت مجرد (المواصفات العادية) .

كان يريد إنسانة حقيقية .. بسيطة .. هادئة .. ذكية ومخلصة .. ولا يهم جمالها .

وكان الرجل يعتقد أن ما يطلبه مستحيل .. فكل الفتيات اللاتى التقى بهن كن نماذج مشوهة : فهذه واحدة لا تعتمد إلا على جمالها .. وتلك (متحذلقة) تردد عبارات جوفاء باللغة الأجنبية وتزعم أنها مثقفة ، بينما هى مثل (الطبلة) مجوفة ولا شىء حقيقيًا بداخلها .. وثالثة تريد من الزوج أن يفعل وحده كل شىء .. يطلب يدها .. ويؤثث عش الزوجية .. يعمل ويحضر الطعام والملابس والحب أيضًا .. وهى جالسة فى مكانها .

لكن المستحيل تحقق .

بالصدفة التقى بفتاة الأحلام التى كانت صورة طبق الأصل من أحلامه .. كانت موظفة ، وعندما اقترح عليها أن تترك عملها قبل الزواج ، لأنه تاجر ويكسب الكثير ، قالت له :

- أنا لا أعمل من أجل مرتب أول كل شهر .. لقد تعلمت أن أثبت وجودى وأن أفيد مجتمعى وبلدى .. ثم إن عملى يجعلنى أدرك مشقة الحياة العملية وأعرف قيمة القرش .. وكل ذلك يجعلنى أدرك وأفهم كم تتعب أنت وأنت تكافح من أجلنا .

وتم الزواج ..

وعاش الزوجان كل يوم فى فرح متجدد .. كانت تعطيه الحنان فيغمرها بالأمان .. كان يستيقظ من النوم فيقول لها :

- صباح الخير يا ست الكل .

فترد :

- صباح النور يا سيدى .. وتاج راسى .

وكان يحضر فى المساء متعبًا فتسرع بإناء به ماء ساخن يضع فيه قدميه وتقوم هى بتدليك قدميه .. يجلس هو على المقعد وتفترش هى الأرض .

أما فى الصباح وقبل أن ينطلق إلى محله فكان يقوم بتقبيل جبهتها .. وكانت هى تضع قبلة على يده .

واكتملت السعادة .. بالولد .

حملت الزوجة وأنجبت ولدًا له وجه مثل القمر ، كان الولد نسخة من أبيه ، وكان باقة الزهر فى بيت الزوجين المتحابين .. ومرت الأيام السعيدة سريعة ، أليس صحيحًا ما يقولونه من أن أيام السعادة ساعاتها أقصر من الأيام العادية ؟

وجاء يوم مشهود .. مشئوم .

عادت الزوجة من عملها عند الظهر قبل زوجها - كالعادة - مع طفلها الذى أصبح عمره أربع سنوات .. وعاد الزوج ليجد ابنه ، فحمله الأب واحتضنه وقبله .

وجاء صوتها من المطبخ مرحبًا ، وقالت :

- حمدًا للهِ على السلامة .. يا بابا .

قال وهو يدلف إلى غرفة النوم :

- سلامتك أنت .. يا ماما ..

وخلع الزوج الجاكتة وقبل أن يخلع بقية ملابسه ، دخل الولد الصغير إلى الحجرة وظل يجرى حوله ، وهو يغمغم ببعض الكلمات .

وفجأة ارتدى الزوج ملابسه .. وانطلق إلى الخارج بعصبية .. غادر الشقة وصفق الباب .. وخرجت الزوجة من المطبخ على صوت الباب .. ونظرت إلى السلم فشاهدت زوجها فى نهايته يغادر باب العمارة .. ظنت أنه نسى شيئًا فى سيارته ، فعادت تواصل عملها وانتهت من إعداد الطعام .. لكن الزوج لم يعد .

نظرت من النافذة ففوجئت بأن سيارته غير موجودة فى مكانها أمام البيت .. عادت قلقة لتطعم الطفل الذى أكل ونام .. وجلست وحدها على مائدة الطعام تنتظر .. ساعة .. ساعتين .. ثلاث ساعات .. ولم يحضر الزوج ، وفى المساء كان القلق قد هزمها .

وقررت أن تذهب إلى منزل أسرتها لتترك الطفل هناك ، وتخرج للبحث عن زوجها .. لكن باب الشقة دق .. وفتحت لتجد

شقيقها .. ولم تلاحظ أن وجهه كان متجهمًا ، فأسرعت تخبره باختفاء زوجها المفاجئ وقلقها أن يكون قد حدث له مكروه .

لكن شقيق الزوجة تهالك على أحد المقاعد .. وأخرج من جيبه ورقة أعطاها إياها . قبل أن تقرأها سألته :

ـ ما هذه ؟

قال الأخ :

ـ ورقة .. طلاقك ؟

نعم .. طلقها الزوج الحبيب .

وبعد أن أفاقت من صدمتها وإغمائها .. كانت أول كلمة نطقت بها :

ـ لماذا .. لماذا ؟

لم تفكر أبدًا فى موقفها كمطلقة ، لكن كل ما كان يدور فى عقلها كل لحظة هو : لماذا طلقها زوجها .. ماذا حدث .. ولماذا الطلاق المفاجئ ؟

وحاولت أن تتصل بزوجها ، لكنه كان يغلق التليفون فى وجهها .. بأدب .

ولم يكن أمامها إلا أن تذهب له فى المحل .. وذهبت .

قالت له :

ـ لقد حدث ما حدث .. ولن أجبرك على العودة .. لكن من حقى أن أعرف .. لماذا ؟

وأطرق الرجل .. نظر فى عينيها لحظة .. ثم هرب بنظراته إلى الأرض .. أغلق فمه فى إصرار مهزوم ، وعرفت أنه لن يتكلم معها أبدًا .

ورغم ذلك فلم تستسلم للأمر الواقع .. عاشت مع طفلها تجتر ذكريات الأيام الحلوة ، ومرارة الأيام الصعبة التى تعيشها بعد طلاقها الغريب .. وهكذا عاشت عامين كاملين شعرت أنهما دهران أو مائتا عام من التعاسة والشقاء والحيرة .

ثم جاء يوم مشهود .. آخر .

ذهبت إلى حفل زفاف إحدى قريباتها .. وهناك فوجئت بوجود مطلقها .. فحاولت أن تنفرد به ..

وقالت له :

ـ أظن أن مرور عامين كاف لإقناعك بأن كل شىء انتهى .. لكنى فقط أريد أن أعرف لماذا طلقتنى ؟

قال لها ساخرًا :

ـ يا لجرأتك .. هل تسألين .. هل تزعمين أنك لا تعرفين لماذا طلقتك ؟

قالت له :

ـ أقسم بكل ما هو طاهر ومقدس إنى لا أعرف .. ويبدو أنه لمح فى عينيها نظرة صدق .. وأصابه هذا بالارتباك .. فسكت .

لكنه بعد برهة تكلم .. فقال :

ـ هل تذكرين اليوم إياه .. عندما عدت من عملى ودخلت غرفة النوم لتغيير ملابسى .. لقد أخبرنى ابنك يا ست الهانم بالحقيقة التى أعماكى حبى لك عنها .. لقد كشف ابنك خيانتك !!

سألته مذهولة :

ـ ماذا قال لك الولد ؟

قال بمرارة :

ـ قال الولد الصغير الذى لايعرف الكذب أن عمو (على) حضر إلى المنزل أثناء غيابى فى العمل .. وأنه دخل معك إلى غرفة النوم .. ثم إلى الحمام أيضًا .

وسقطت الزوجة .. على الأرض .. وأغمى عليها .

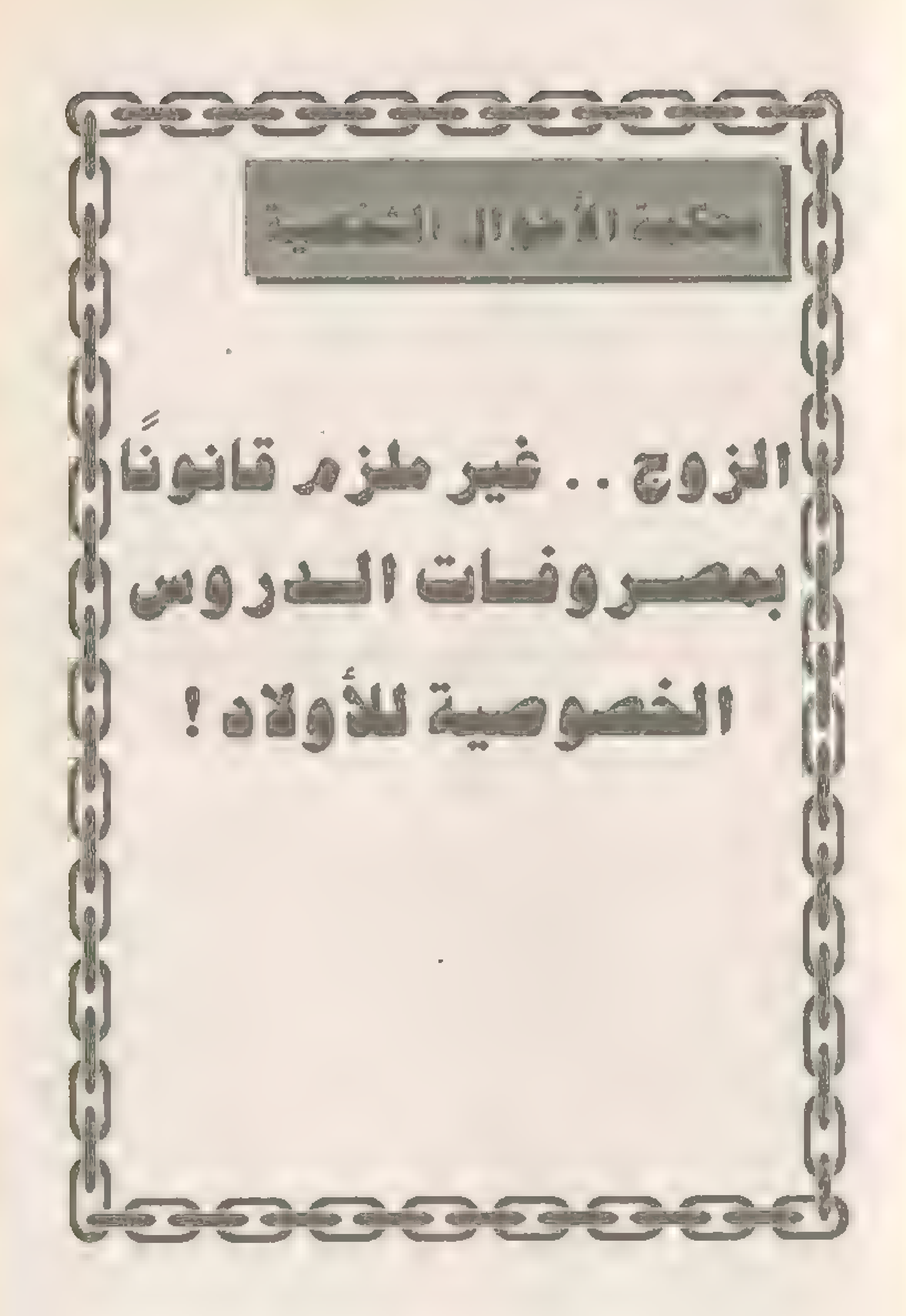
وعندما أفاقت ، صرخت فى وجهه : يا مجنون .

أخذ يهزها بعنف لتتكلم ..

ابتلعت دموعها وقالت :

ـ كل ما قاله لك الولد الصغير كان صحيحًا .. ما عدا استنتاجك الخاطئ .. إن عمو (على) هو والد جارتنا فى العمارة .. والد السيدة التى تسكن فى الشقة الواقعة تحتنا .. وصحيح أنه حضر أثناء غيابك .. لكن مع السباك لمعاينة مواسير المياه التى تنشع على شقة ابنته .. ودخلت معه ومعنا السباك إلى غرفة النوم .. ثم إلى الحمام .

* * *



القضية أطرافها : طبيبة فى السابعة والأربعين من عمرها ، وزوجها أستاذ الجامعة الذى يكبرها بسنوات ، ولاحظ كلمة زوجها فهى لازالت على ذمته ولم يطلقها ، وإن كان منذ سنوات ليست قليلة قد تزوج عليها من امرأة أخرى أنجبت له ولدين غير الولدين والبنت الذين أنجبتهم زوجته الأولى الطبيبة .

ملحوظة : إن القضايا فى محاكم الأحوال الشخصية لم تعد مقصورة على المطلقين والمطلقات ، بل إن الأزواج والزوجات أيضًا يرفعون القضايا ضد بعضهم !

فى هذه القضية : الطبيبة لا تريد من زوجها أستاذ الجامعة الطلاق ، ولا هى تطلب نفقة متعة ، إنها فقط تريد إلزامه بأن يتحمل مصروفات الدروس الخصوصية لأولاده .

فماذا حدث فى جلسة المحكمة ؟

* * *

هى تقول : سيدى القاضى لقد تزوجت هذا الرجل منذ حوالى ٢٠ عامًا ، وأنجبت له ثلاثة أبناء : الأول أصبح طالبًا فى الجامعة ، والبنت فى المرحلة الثانوية ، أما الولد الصغير فيدرس بالإعدادى ، ولن أتحدث عن طباع زوجى .. هذه الطباع التى كانت وراء سير من خلافاتنا ، والتى انتهت بأن تزوج علىّ (ضرة) أنجبت له ولدين ، ليس هذا مجاله ثم هو حقه الشرعى فى أن يتزوج العدد الذى يريده من الزوجات بشرط أن يعدل بينهن !

المشكلة سيدى القاضى أننى لاحظت أن مستوى أولادى فى المناهج الدراسية (زفت) ، فنظرت حولى فوجدت معظم الطلبة يأخذون

دروسًا خصوصية .. وأنا ليس عندى أغلى من أولادى ، ومستقبلهم يأتى عندى فى المرتبة الأولى ؛ وهكذا لم أجد مهربًا من الموافقة على حصولهم ـ مثل غيرهم من الطلبة ـ على دروس خصوصية فى المواد الصعبة عليهم .

وفوجئت بأن (نار الأسعار) قد امتدت لتشتعل فى الدروس وهكذا كلفتنى دروس ابنى طالب الجامعة ١٨٠٠ جنيه ، أما ابنتى بالثانوية فقد تكلفت دروسها ألفى جنيه . وحتى الولد الصغير تلميذ الإعدادى تكلفت دروسه الخصوصية مبلغ ألف جنيه ، يعنى وجدت نفسى فى النهاية مطالبة بسداد حسبة ٤٨٠٠ جنيه ، وعندما طالبت زوجى أن يدفعها رفض .. ولم يكن ممكنًا أن أجعل السادة المدرسين ينتظرون ، فأعطيتهم المبلغ من مالى الخاص .

القاضى : وما هو المطلوب إذن ؟

الزوجة : أن يدفع زوجى المبلغ .. أليس هو أباهم ؟ إذن هو ملزم بتعليمهم حتى يتخرجوا .. أم أن المسألة (سايبة) ؟!

الزوج أستاذ الجامعة : سيادة القاضى .. سأكون محددًا فى الرد على مزاعم زوجتى .. أولاً : صحيح أننى أستاذ بالجامعة ، لكن حالتى المادية لا تسمح بسداد هذه الآلاف من الجنيهات ؛ لأن أستاذ الجامعة لا يقبض مرتبًا بالآلاف ، ثم إننى بالفعل متزوج من زوجة أخرى لكن شتان الفارق ، وعندى منها ولدان ولكنهما متفوقان فى دراستيهما بدون دروس خصوصية ولا يحزنون ، ولن أقول إن الدولة لا تعترف بمبدأ الدروس الخصوصية . ولكن سأقول إن ضعف مستوى أولادى من هذه الزوجة راجع إلى إهمالها لهم وانشغالها

فى عملها بالمستشفى صباحًا وفى العيادة مساءً ، والأولاد فى حاجة لأن يشعروا بوجود من يشرف عليهم ويراقبهم وهم يذاكرون ، وإلا فقدوا حماسهم للمذاكرة ، وتبدلت قدرتهم على الاستيعاب واحتاجوا إلى (حقن) الدروس الخصوصية !

سيادة القاضى .. ما دامت زوجتى مسئولة عن الإشراف على مذاكرة الأولاد .. وما دامت قد تخلت عن هذه المسئولية .. فلست ملزمًا بسداد مصروفات الدروس الخصوصية .. وأنا مالى !

★ ★ ★

يقول رئيس المحكمة :

صحيح أن القانون يلزم الأب بتعليم أولاده حتى المرحلة الجامعية ، رغم بلوغهم سن زوال ولايته الطبيعية عليهم ، لكن ذلك بشرط أن يكون الابن رشيدًا فى التعليم .

بمعنى أن تكون قدراته الذهنية تتناسب مع نوع التعليم والمرحلة التعليمية التى يدرس بها ، وفى هذه القضية كان مفروضًا على الأولاد أن يدركوا الظروف الأسرية التى يعيشونها ، وألا يعتمدوا على الدروس الخصوصية التى لا تدخل قانونًا ضمن نفقة الصغار على أبيهم .

تساءلت الزوجة فى دهشة :

– يعنى إيه ؟

القاضى : يعنى زوجك ليس ملزمًا بسداد ثمن الدروس الخصوصية ، هكذا تحكم المحكمة ، وتقضى أيضًا بإلزامك بسداد مصروفات القضية !

انتقام زوجة .. من زوج معقد !

أصبحت حياتها معه جحيمًا لا يطاق !

عيشتها معه أصبحت سوداء .. وافتراقها عنه هو المستحيل بعينه .. فهو يرفض أن يطلقها .. وفى نفس الوقت يمضى فى تعذيبها .. ويتفنن كل يوم فى ابتكار وسيلة تعذيب جديدة .

كانت تضع رأسها تحت السيشوار عند الكوافير عندما فاض بها ، وهى تتذكر ما كانت تظنه حبًا عظيمًا ربط بين قلبيهما ، فإذا به وهم كبير ، ومصيدة لا فكاك منها .

تساقطت دموعها رغمًا عنها ، واختلطت فى رأسها الصغير الجميل كل ذكريات الحب والزواج .

قبل الزواج كان يقول لها : أنت أجمل مخلوقة رأتها عيناى .

والآن يقول لها : منظرك مقرف .. يثير اشمئزازى .

أيام الخطوبة كان يقول لها : أنت أروع شىء فى دنياى .. وأيام عمرى قبل أن ألقاك سقطت من تاريخ حياتى .

واليوم يقول لها : لا أعرف أى مصيبة قذفت بك لتعكرى صفو جنتى !

* * *

أخذ الكوافير يدور حولها والمشط فى يده ، لكنه لا يصفف شعرها .

قال لها وهو يتظاهر بالتعاطف : يا هانم .. سلامتك .

حاولت أن تمسح دموعها التى فضحتها .

قال لها الكوافير :

- أوعى يا هانم تقوليلى عندك صداع .. أكيد فيه مشكلة .. لكن حرام اللؤلؤ اللى نازل من عينيك ده !

انتزع منها الماكر ضحكة أوقفت سيل الدموع .. ووجدت نفسها تحكى له فى أسى عما تشعر به .. هكذا ودون أن تدرى فتحت قلبها لكوافير !

* * *

وفيما بعد كانت كلما فاض بها واسودت الدنيا فى عينيها .. تذهب إلى الكوافير !

وفيما بعد .. تغيرت تمامًا وتحولت إلى إنسانة أخرى لم تعد تبكى . نضب معين الدموع فى عينيها ، وعندما كان زوجها يشتمها بل وحتى يضربها ، لم تكن تنطق . كانت تتلقى صدماته فى صمت غريب .. دون أن تبكى أو تستغيث أو حتى تدافع عن نفسها ، وكان هذا يثير جنونه ، فيندفع فى قسوة ، يوجه اللطمات العنيفة على وجهها الجميل الرقيق ، وفى النهاية يتركها بعد أن يتعب .. ويتهالك على أقرب مقعد فى غيظ حائرًا لا يعرف : لماذا لم تعد تبكى ؟!

* * *

كان الرجل الأول فى حياتها .. لكنها كانت المرأة الثانية فى حياته !

كان بعد تخرجه فى الجامعة قد تزوج فتاة من أسرة أرستقراطية ومن اليوم الأول أذاقته الأمرين ، كانت أنفها دائمًا فى السماء !! وتؤكد له فى كل لحظة وكل تصرف أنه جاء من مستوى اجتماعى يقل عن مستواها .. وعبثًا حاول أن يحطم كبريائها .. وفى النهاية طلقها بعد أن فرضت شروطها ، ووضعت أنفه .. فى التراب !

وعندما قابلته روى لها حكاية فشل زواجه الأول ، عندما قابلته أحبته ، ولم تكن تتخيل أبدًا أن عقدة هذا الزواج الفاشل ستتحكم فى حياته ، لم تكن تدرى أنه اختارها لينتقم فى شخصها من الزوجة الأولى التى لم يستطع أن يهزمها !

ولم يمر عام واحد على زواجهما حتى كشف القناع عن عقدته ، وبدأ يسىء معاملتها ويحاول التحقير من شأنها ، بدأ يعيرها بفقر أهلها رغم أنه نفسه من الطبقة المتوسطة ، ولولا سفره للعمل فى بعض دول الخليج والثروة التى جمعها لظل دائمًا وسط هذه الطبقة .

وتحول إلى وحش مفترس أجبرها على أن تترك وظيفتها ، وكان يعطيها النقود بالقطارة ، عاملها باحتقار وقضت قسوته على إنسانيتها وأنوثتها ، وكان كل يوم يعود فيه وهو يحمل فى صدره الأسود فكرة تعذيب جهنمية جديدة .

وفى ذلك اليوم عاد .. لكنه لم يجدها فى البيت .

* * *

وأسرع إلى قسم الشرطة يقدم بلاغًا عن غيابها .. ظل طوال الأسبوع يتردد على قسم الشرطة لعلهم قد توصلوا إلى خبر عنها بلا فائدة .. وجن جنونه ، وبدأ يبحث عنها فى كل مكان بعد أن طرق بيوت أهلها وصديقاتها ومعارفها بلا جدوى ، فلا أحد يعرف عنها شيئًا ، كأنها فص ملح وذاب ، وبحث فى المستشفيات ، بل ذهب إلى المشرحة وهو يتمنى فى قرارة نفسه ألا تكون قد ماتت فى حادث .. لأنه لن يعرف كيف يبكى ويعتذر لجثة !

وأعياه البحث .

أهمل عمله وجلس فى البيت ، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ، طالت لحيته وأصابه الشحوب ، وكان وجهها يظهر فى خياله كل لحظة بتقاطيعها الملائكية ونظرتها الحزينة ، تمزق قلبه وكأنها تقول له : الآن ليس فى استطاعتك أن تجعلنى أبكى !

* * *

وذات يوم قدم له أحد أصحابه نصيحة غريبة ! قال له : لماذا لا تبحث عنها .. فى السجن ؟

ودون تفكير أسرع إلى مصلحة السجون ، ودخل مكتب مدير مباحث السجون .. وسأله بخجل : هل عندكم سجينة اسمها (فلانة) ؟

ويطلب مدير مباحث السجون من أحد ضباطه البحث عن اسمها بين أسماء مئات المسجونات ، لكنه لا يجد الاسم ، وعندما يهم بالانصراف ورأسه مطرق إلى الأرض غارقًا فى حزنه وشروده ، يقول له مدير مصلحة السجون : اسمع عندى فكرة .. لماذا لا تحضر صورة فوتوغرافية لزوجتك وتذهب بها إلى سجن النساء بالقناطر .. لعل وعسى ؟!

وبالفعل يذهب فى اليوم التالى إلى سجن النساء ، ويقدم صورة زوجته لرئيس مباحث السجن . وينظر الضابط إلى الصورة ويتفحصها بدقة .. ثم يسأله : تقول إنها زوجتك .. وأن اسمها (فلانة) ؟

يرد : نعم .

وهنا يرفع الضابط سماعة التليفون ، ويهمس بكلمات لمساعده ، وبعد دقائق دق الباب ودخل الضابط الثانى .

فيقول مساعد الضابط للزوج الحائر : خارج هذا الباب توجد سجينة ، هى نفسها صاحبة الصورة ، لكن من الواضح أنها عند القبض عليها انتحلت اسمًا آخر ، فاخرج وانظر إن كانت زوجتك .

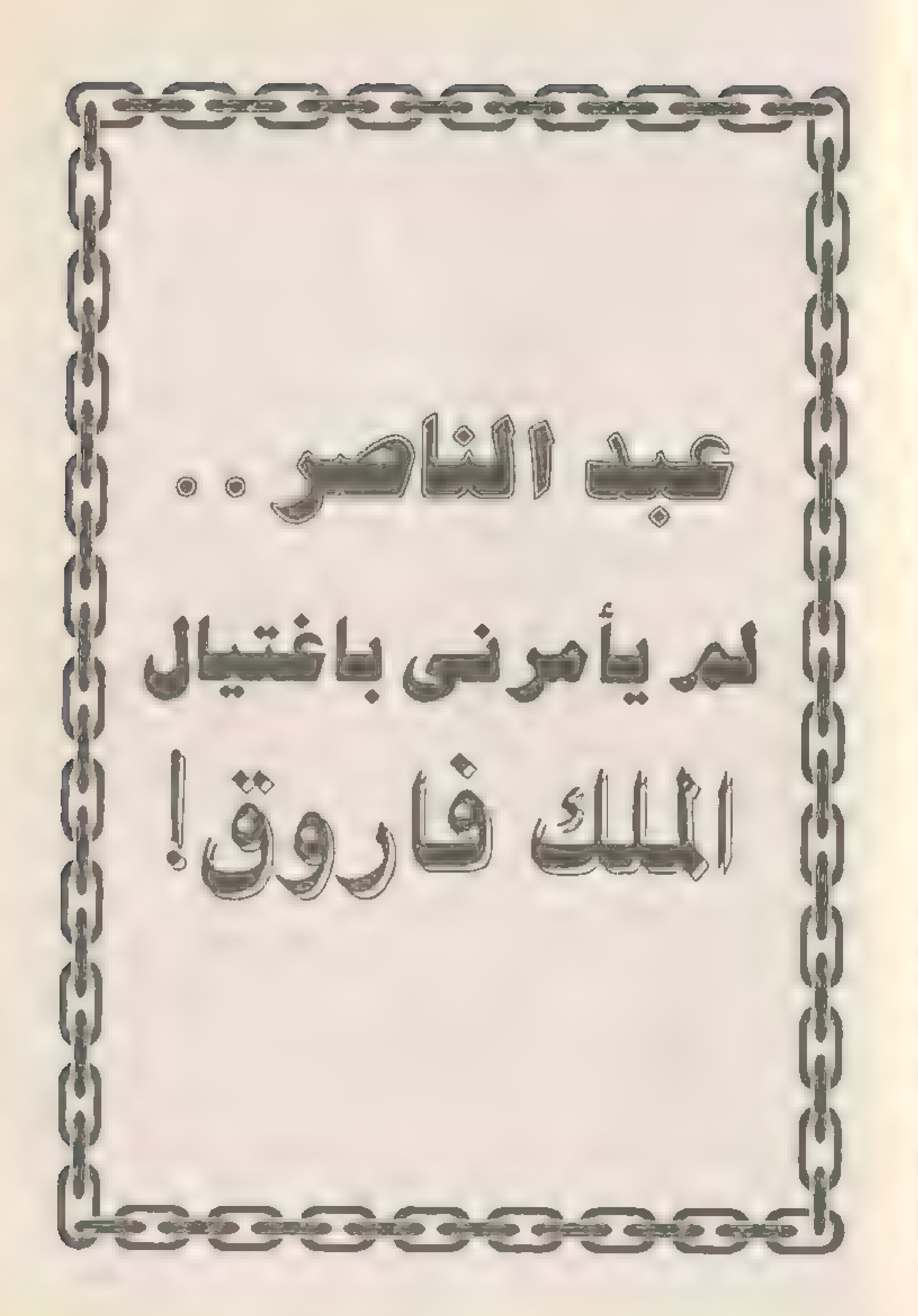
ينهض بصعوبة وكأن قدميه مشدودتان إلى الأرض بمسامير ، يتحرك وكأنه مشلول وعندما يصل إلى الباب ويفتحه ، ويقف وجهًا لوجه أمامها يتسمر فى مكانه . إنها هى .. نفس الوجه الملائكى والنظرة الحزينة .. نفس العينين اللتين طالما انهمرت منهما الدموع ، لكن الدموع التى تجرى الآن هى دموعه .. ساخنة ملتهبة تحرق وجهه وقلبه فى صمت .

لا يعرف كيف يجرؤ على أن يسأل : ما هى .. قضيتها ؟

★ ★ ★

استدارت فى ملابس السجن البيضاء عائدة إلى زنزانتها ، بينما أسرع الجميع إليه يرفعونه من الأرض ، كان قد سقط مغشيًا عليه ، بعد أن ألقى الضابط بالقنبلة :

قال له : زوجتك ضبطت فى قضية آداب !



مسكين .. (دفتر تاريخ مصر) !

نزعوا الريشة من أيدى المؤرخين .. وتركوا الصحفيين يكتبونه بالأقلام الجاف والرصاص ، لتأتى صفحاته بخط ركيك وكلماته بأنفاس محمومة لا هدف لها سوى السبق الصحفى حتى لو كان زائفًا ، أبعد ما يكون عن الحقيقة والتاريخ !

والأمثلة كثيرة .. وأشهرها حكاية اغتيال الملك فاروق الوهمية !

● قالوا : إن المخابرات المصرية هى التى دبرت ونفذت خطة اغتيال الملك فاروق فى منفاه فى روما !

● وقالوا : إن أحد كبار رجال المخابرات المصرية تمكن من انتحال شخصية جرسون فى أحد المطاعم الإيطالية ، ودس سم الأكونتين للملك فى طعامه ، فلقى مصرعه بعد دقائق ! ولم يفكر أحد فى أن يواجه ضابط المخابرات المصرى المزعوم بعد أن خرج من المخابرات وبعد أن ترك مناصبه الأخرى الرسمية .. وأصبح يعيش منذ سنوات فى هدوء أصحاب المعاشات ، بينما التهمة الظالمة معلقة فوق رأسه !

إنه إبراهيم بغدادى أحد الضباط الأحرار .. مسئول المخابرات والمحافظ السابق ، الذى ما زال حتى اليوم ، كلما قابل أحدًا يردد نفس الجملة التقليدية : صدقونى .. والله العظيم لم أقتل الملك فاروق !

التقيت بإبراهيم بغدادى فى بيته الذى يطل على نادى الجزيرة فى ضاحية الزمالك .

كان الرجل ـ الذى ما زال يحتفظ بالصحة والحيوية رغم السنوات ـ قد انتهى من رياضة المشى الصباحية التى تعود أن يقوم بها صباح كل يوم .

● ضرب الرجل كفيه فى تعجب ..

وقال : صدقنى أنا لا أعرف حتى هذه اللحظة كيف ولماذا نسبوا إلىّ هذه التهمة الخطيرة ، لقد ظللت طوال السنوات الماضية أسمع هذه القصة الغريبة تتردد على كل لسان ، سمعتها لأول مرة عام ١٩٦٨ بعد وفاة الملك فاروق بثلاث سنوات ، عندما فوجئت بابنتى هدى التى تعيش فى أمريكا ، وكانت وقتها طالبة فى كلية البنات تقول لى إن زميلاتها فى المدرسة قالوا لها : « أبوك هو الذى قتل الملك فاروق » ، والحقيقة أننى لم أهتم بذلك ، لكنى فوجئت بعدها بنفس الكلام يردده بعض أصدقائى ، وسمعت من بعضهم أن بعض المحامين الذين شاركوا فى محاكمات انحراف جهاز عام ١٩٦٨ والتى كان صلاح نصر ـ رئيس المخابرات ـ هو المتهم الأول فيها ، قالوا إن صلاح نصر ذكر فى التحقيقات معه ، وفى مجال تبرير اختفاء كمية من سم الأكونتين ـ والتى قيل إن المشير عامر انتحر ببعضها ـ أن إبراهيم بغدادى هو الذى حصل على هذا السم لقتل الملك فاروق فى إيطاليا .

● أسأله : وهل تعتقد أن صلاح نصر ذكر ذلك فعلاً ؟

قال : أنا كنت قد تركت جهاز المخابرات قبل ذلك بثلاثة أعوام وعينت محافظًا لكفر الشيخ عام ١٩٦٥ ، ولم تعد لى أية صلة

بالمخابرات ، ومع ذلك فأنا لا أعتقد أبدًا أن صلاح نصر قد ذكر هذا فى التحقيقات معه ، وإلا كان من الطبيعى أن يتم استدعائى وسؤالى ، لكن لا النيابة استدعتنى ولا المحكمة سألتنى ، وأعتقد أن الإشاعة لم تمت بعدها ؛ لأن بعض أصدقائى عام ١٩٧٢ وبعد إحالتى إلى المعاش أخبرونى أن الصحفى محمود فوزى يريد إجراء حديث معى ، فوافقت وأجرى معى الحديث الذى ظهر فى كتاب عنوانه (كيف قتلت الملك فاروق) ؟ لكن العنوان كان مخادعًا ، لأننى فيه كنت أنفى القصة من أساسها ، بينما أكد الكتاب هذه التهمة ، لدرجة أننى سمعت أن الأمير أحمد فؤاد ينوى رفع قضية ضدى يتهمنى فيها بقتل أبيه الملك فاروق !

فى نار جهنم

● **سألت إبراهيم بغدادى : متى وكيف بدأت علاقتك بالعمل فى جهاز المخابرات .. وماذا كانت مسئولياتك ؟**

قال : عملت فى جهاز المخابرات من يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٢ ، كنت ضابطًا فى اللواء الأول مشاة بالإسكندرية ومنتدبًا فى البحرية ، ثانى أيام الثورة كلفت من زكريا محيى الدين المسئول عن جهاز المخابرات وقتها بالعمل فى مكتب مخابرات الإسكندرية ، كانت طبيعة ومسئولية العمل هى تأمين الثورة ، وكنا نتبع المخابرات الحربية ، واستمر عملى فى المخابرات الحربية حتى سبتمبر ١٩٥٥ عندما تم إنشاء جهاز المخابرات العامة على يد زكريا محيى الدين وظللت أعمل فى هذا الجهاز لمدة ١٣ سنة حتى عام ١٩٦٥ .

● **وماذا كانت طبيعة عملك فى المخابرات العامة ؟**

ـ كانت مسئولياتى فى العمل السياسى الخارجى ، لم يكن لى أى شأن بالجبهة الداخلية ، كان اختصاصى فى العلاقات الدولية الخارجية ، وكنت مهتمًا بمشكلة فلسطين وإسرائيل وكل ما يتعلق بها .

● **بالطبع كانت طبيعة عملك تستوجب السفر إلى البلدان الأوروبية .. فهل حدث أنك سافرت إلى روما ؟ وهل حدث أنك شاهدت الملك فاروق هناك ؟**

ـ **يرد إبراهيم بغدادى قائلاً :** طبعًا كانت روما محطة أساسية لمن يسافر إلى أوروبا .. لقد حدث بالفعل أننى ذهبت إلى روما وشاهدت الملك فاروق مرة واحدة فقط .. كان ذلك تقريبًا عام ١٩٥٨ ، وشاهدته جالسًا على مقهى فى (شارع فيافينتو) الرئيسى فى روما ، ولا أتذكر إن كان يجلس بمفرده أو مع بعض الأجانب ، أعتقد أنهم كانوا من الأجانب لأن الملك فاروق لم يكن يحب الجلوس مع مصريين .

● **لماذا ؟**

ـ لقد أخبرنى أمين فهمى ، الذى عمل لفترة سكرتيرًا للملك فاروق ، أن الملك فاروق بعد خروجه من مصر لم تكن لديه لا الرغبة ولا القدرة على العودة إلى مصر ، وغير صحيح ما تردد أنه بعد نفيه كان يكون تنظيمًا لكى يعود إلى مصر ؛ لأنه كان متأكدًا من عدم وجود قواعد مؤيدة فى مصر ، بل إنه ـ أى الملك ـ روى لأمين فهيم قصة أخبره فيها أنه فى نهاية الأربعينات خرج من قصره فى رأس التين بالإسكندرية متنكرًا فى إحدى الليالى ، وركب عربة حنطور وأخذ يدردش مع عربجى الحنطور .

سأل الملك فاروق العربجى : إيه رأيك فى الملك فؤاد ؟

رد عليه العربجى : راح فى نار جهنم !

سأله الملك : وإيه رأيك فى ابنه ؟

قال العربجى على الفور : حايطلع إيه .. كلب زى أبوه !

الوجبة الأخيرة

سألت إبراهيم بغدادى : نعود إلى السؤال المهم .. أنت تنكر أنك قتلت الملك فاروق ؟

قال على الفور : نعم .

● سألته : لم يكن هناك وقتها أى حديث فى المخابرات عن التفكير فى اغتيال فاروق ؟

قال : إطلاقًا .. لم يكن للملك فاروق بعد الثورة أى وزن ، ولم تكن هناك جماعات ضد الثورة غير جماعة سيد رمضان (تنظيم الإخوان) فى جنيف الذى كان يجمع الطلبة المصريين فى الخارج حوله ، ثم جماعة مصر الحرة فى باريس ، لكن لم يكن لهذه الجماعات أى تأثير داخل مصر ، ولم تفكر السلطة المصرية بل ولم يخطر على بالها أبدًا فكرة التخلص من الملك فاروق ؛ لأنه كان قد تم التخلص منه فعلاً بخروجه من مصر .

● **كيف مات الملك فاروق ؟**

- إننى أؤكد أنه لم يتم اغتيال الملك فاروق ، إنه لم يمت مسمومًا .

فاروق مات بذبحة صدرية ، هذا ثابت فى تقارير الأطباء الإيطاليين الشرعيين ، لقد ذكر المرحوم فتحى رضا فى كتابه (٧٢ شهرًا مع عبد الناصر) أن فاروق مات بسبب الإسراف فى الطعام ، واستشهد على ذلك بسطور من كتاب صحفى أمريكى عنوانه (فاروق فى الكتاب لم يمر على الرقابة) روى فيه كيف مات الملك فاروق قائلا : «لقد هاجم فاروق طبقًا فيه اثنتا عشرة محارة من الصنف الكبير غارقة فى مرقة التابسكو الشهيرة ، وقد أعانه على ابتلاع هذه الوجبة الضخمة زجاجة كان حجمها ٣٢ أوقية من ماء (أفيان) ، ثم جاء دور فخذة خروف تساوى أربع وجبات كاملة لأربعة رجال مع البطاطس المحمرة ، تيسر وصولها إلى بطنه بفضل زجاجة من الصودا .. أما الحلو فقد كان كومة ضخمة من الصنف الإيطالى والمحلى بالقشدة المضروبة المتوجة بالفواكه !

وقد تبع ذلك زجاجات من الحجم الصغير من الكوكاكولا ، وتبعًا للنظام الإيطالى ، فقد أنهى الملك الوجبة بعدد من البرتقالات ، ثم عدد من زجاجات الكوكاكولا ، ثم اضطجع فى مقعده ، وأخرج من جيبه سيجارًا ضخمًا من تبغ هافانا ، أشعله وأخذ منه أنفاسًا قليلة عميقة ، فجأة تدحرج السيجار من فمه .. واتجهت رأسه إلى الخلف وحدقت عيناه فى سقف حجرة المطعم ، وغاب عن الوعى ، ونقل إلى المستشفى بعد عشرة دقائق ، وفى غرفة الإنعاش لفظ فاروق أنفاسه الأخيرة فى مساء يوم ١٨ مارس ١٩٦٥ !



● **سألت إبراهيم بغدادى :** هل تعتقد أن تاريخ مصر الحديث .. يحتاج إلى تاريخ جديد ؟

قال : من الواجب إعادة كتابة تاريخنا على الأقل خلال الخمسين عامًا الماضية بكل الأمانة والحذر ، ومن المؤسف أن كل المحاولات التى بدأتها الدولة لإعادة كتابة التاريخ لم تكتمل ، ولا بد أن نسجل ما حدث على أرض هذه البلاد خلال النصف قرن الأخير ، بعيدًا عن الهوى وتصفية الحسابات وإضفاء بطولات غير حقيقية .

فى نهاية حديثى مع إبراهيم بغدادى ..

كان هناك سؤال ـ على طرف لسانى طوال الوقت ـ لم يكن ممكنًا أن أتركه بدون إجابة !

سألته : لو كان جمال عبد الناصر شخصيًا .. قد طلب منك اغتيال الملك فاروق .. هل كنت ستفعل ؟

لم يتردد فى الإجابة ..

رد على الفور : هو لم يطلب .. ولا أعتقد أنه كان سيطلب .. ولو كان قد طلب منى ذلك لرفضت .. لأننى ضد أسلوب اغتيال أى إنسان !

★ ★ ★

أنا .. غلطة طبيب !

فى محضر الشرطة رقم ٧٠٥١ أحوال قسم شرطة مدينة نصر الذى حرره النقيب طارق قطب ، تحدث جميع أطراف القضية ما عدا الآنسة (وعد) مع أنها أكثر الأطراف تضررًا بما حدث .

ولأن الآنسة وعد لا يمكنها لظروف خارجة عن إرادتها أن تتكلم الآن .. لأن وسيلة التعبير الوحيدة التى تملكها هى الصراخ والبكاء .. فقد سمحنا لأنفسنا أن نروى القصة على لسانها بغض النظر عما يمكن أن ينتهى إليه التحقيق فى القضية !

* * *

حبيبتى ماما ..

هذه رسالتى الأولى لك بعد فراقنا الأخير .. وبعد أن انتهت رحلتنا التى دامت شهورًا .. رغم أننى سببت لك خلالها بعض المتاعب .. إلا أنك يا ماما الحبيبة لم تشتك منى لحظة واحدة .. بل كنت أسمعك وأشعر بك تربتين علىَّ برفق وحنان .. وتهمسين لى طوال الليالى التى أرقت فيها منامك قائلة : يا ابنتى الغالية (وعد) أنا فى انتظارك على أحر من الجمر .. لأكحل عينى برؤياك ولأسعد بك ، وشقيقتك الوحيدة بسمة هى عينى اليمنى وأنت ستكونين عينى اليسرى ، وبكما أرى الحياة أجمل .. وبكما أعيش ما بقى من العمر ، ومن أجلكما أضحى بكل العمر .

كانت هذه هى مناغاتك اليومية لى .. طوال شهور رحلتنا معًا وعندما اقترب الموعد جئنا مع أختى بسمة من البلد العربى الذى يعمل به بابا ، وطوال أسبوع لم يكن لك شغل إلا المرور على المحلات التجارية وشراء أجمل الفساتين والملابس لى .. كانت السعادة تملؤك وكنت تقولين لبائعة الملابس لعل الله يعطينى عمرًا حتى أشترى لها فستان الزفاف بنفسى .

كنت تحلمين يا أمى ، لكن القدر كان يخبئ لك شيئًا غير الأحلام .. فعندما زاد ثقلى عليك أسرعتِ تتصلين بإحدى قريباتنا التى أخبرتك بأن عليك أن تذهبى إلى المستشفى ، وأنها تعرف طبيبًا شاطرًا .. فى هذا المستشفى الخاص .. بالفعل اتصلت بالطبيب وحددت لك موعدًا معه ، وعندما فحصك الطبيب قال لك إنه ينبغى أن تدخلى غرفة العمليات فى نفس اليوم شعرت بقلبك ينبض بشدة وجسدك يرتجف فى انفعال ، أخيرًا سوف نلتقى يا أمى وجهًا لوجه ، وبسرعة كانوا يدخلونك إلى حجرة العمليات وأعطوك مخدرًا فأغمضت عينيك .. وجرى مشرط الطبيب على جسدك وسالت منك الدماء ، ورسم القدر الفصل الأخير فى حكايتنا .. حكاية الموت والحياة .

وحين استقبل صدرى هواء هذه الدنيا صرخت دون أن أعرف إن كانت صرختى هذه فرحًا بحياتى أم حزنًا على وفاتك .

لم تفتحى عينيك مرة أخرى يا أمى ، ولم تكتحل هاتان العينان برؤيتى كما كنت تحلمين ، عندما فتحت عينى بعد ساعات من مقدمى للحياة كنت يا حبيبتى قد غادرت الحياة فلم تشاهدينى ولم أشاهدك ..

وأسرعت خالتى (ابتسام) إلى قسم الشرطة حيث قدمت بلاغًا ضد الطبيب الذى أجرى لك عملية الولادة القيصرية .. اتهمته فيه بالإهمال وقالت إنك كنت مريضة بالسكر وارتفاع ضغط الدم ، وأنه كان على الطبيب أن يجرى لك الفحوصات اللازمة قبل إجراء العملية كما كان ينبغى أن يحصل على موافقة أهلك أولاً .. واتهمت خالتى الطبيبة المناوبة بالإهمال وقالت إنها عندما ذهبت إلى جدتى لرؤيتك بعد العملية وجدتك مغمضة العينين ، وعندما سألت الطبيبة ردت عليها بأنك نائمة ، لكنك كنت فى الحقيقة نائمة النومة الأبدية .



قالت خالتى فى محضر الشرطة إنها تتهم المستشفى بالإهمال ؛ لأنهم رفضوا إعطاءها تقريرًا عن حالتك أو عن سبب وفاتك .

وعندما سألوا الطبيب فى محضر الشرطة قال إنه عندما فحصك اكتشف أن موعد الولادة مضى عليه يومان وأنك تعانين من ارتفاع ضغط الدم ولم تذهبى إلى أى طبيب آخر ، وأن وزنك يزيد عن مائة كيلو جرام .. وأنه خوفًا من إصابتك بمرض تسمم الحمل المفاجئ وهو مرض معروف طبيًا كان لابد من إجراء عملية الولادة القيصرية فى الحال .. وأنه علم من قريبتك أن جدى متوفى ببلد فى الخارج وأن قريبتك قالت إنها المسئولة ووافقت على إجراء العملية ، وعن سبب وفاتك قال الطبيب إنه يحتمل أن يكون راجعًا لإصابتك بجلطة بالرئة أو القلب أدت إلى هبوط بالدورة الدموية .

ماما الحبيبة ..

لقد أحالت الشرطة المحضر إلى النيابة ، وبغض النظر عما سوف ينتهى إليه التحقيق ، فإنى يا أمى أحب أن أبلغك أخبارى : لقد تعبت كثيرًا ؛ لأنه لا توجد بين قريباتك أم ترضعنى ، وأصابنى اللبن الصناعى بمشاكل فى معدتى الصغيرة .. إننى لا أكف عن الصراخ ، وأختى الكبيرة بسمة التى لا يزيد عمرها عن ثلاث سنوات حائرة لا تعرف ماذا تفعل لكى توقف بكائى ، لكن الأيام والحياة سوف تمضى وقد تجف الدموع . لكن ستبقى فى قلب طفلتك الوليدة (وعد) دمعة لن تجف أبدًا مهما طال الزمن .. دمعة المولود الذى لم ير أمه .

* * *

مع السلامة يا صاحبى!

قبل أن أغادر مبنى مديرية أمن الجيزة بعد منتصف الليل تلقيت الخبر .. استوقفنى المقدم ضياء عبد الهادى الذى لم أشاهده منذ سنوات ، وقال لى : البقية فى حياتك .. حسن العسال تعيش أنت ! ربت ضابط المباحث على كتفى مواسيًا ، وانطلق فى قلب الظلام ليبدأ مهمة ليلية أخرى .. حزينًا بجوار النيل الصامت مشيت .. وبدأت الذكريات تنصب سرادق الأحزان فى قلبى !

هل يمكن أن تنشأ صداقة بين صحفى .. ولص ؟!

هل يمكن أن يتبادل كل من الصحفى واللص موقعه مع الآخر ؟! نعم حدث ذلك .. ولم أكن أتخيله منذ أكثر من عشر سنوات عندما سرق لص مجهول لوحة (أزهار الخشخاش) من متحف محمد محمود خليل بالزمالك .. وأثارت السرقة ضجة كبيرة لأنها تحولت إلى لغز ، وحين طلب منى رئيس التحرير أن أكتب عن السرقة ، وأخبرته أننى سأتخيل نفسى اللص المجهول الذى سرق اللوحة ، وسوف أضع خطة لسرقة المتحف ، حتى أكتشف الثغرات التى تسلل منها اللص وسرق اللوحة ، اتهمنى رئيس التحرير بالجنون .. لكنى فعلتها !

قمت بمعاينة المتحف بعد أن تسللت وسط زحام السياح ، واكتشفت أنه لا توجد حراسة كافية .. الطابق الأول عبارة عن سبع غرف تؤدى إليها جميعًا ردهة واسعة .. على الحوائط ثروات خيالية ..

لوحات نادرة لجوجان ورينوار واتجو ديميليه وكبار الفنانين العالميين .. واكتشفت أنه لا توجد أسلاك تشير إلى وجود أجهزة إنذار .. وخارج المتحف لم أجد سوى أربعة جنود يتولون حراسته .. فانصرفت وعدت لأنفذ خطة السرقة بعد منتصف الليل !

كانت ليلة شتوية باردة .. ذهب أحد الجنود ليحضر الشاى لزملائه من مكان قريب .. بينما (تكوم) الثانى والنعاس يغالبه وسقطت بندقيته إلى جواره .. وانشغل الاثنان الآخران فى حديث طويل !

دق قلبى بعنف وأنا أقفز فوق السور الحديدى الذى يحيط بحديقة المتحف .. ثم أسرعت أختبئ وسط الأشجار والنباتات الكثيفة التى تنتشر فى الحديقة .. الإضاءة غير جيدة .. مكثت فى مكانى دقيقة ألتقط أنفاسى وأتأكد أن الحراس لم يشاهدونى ، ثم عدوت نحو المتحف .. استدرت بعيدًا عن الباب الضخم الذى يصعب كسره أو فتحه .. لأكتشف أن معظم النوافذ من خشب الأرابيسك ولا يوجد بها أجهزة إنذار .. مددت يدى وضغطت على النافذة .. يمكن فتحها بسهولة لو كانت معى (طفاشة) أو (أجنة) حديدية .. لكن الآلة الوحيدة التى تعودت استخدامها هى القلم !

إذن .. يمكن دخول المتحف بسهولة حتى بعد أن حدثت سرقة اللوحة ، وعدت من نفس الطريق إلى الخارج ، فقد كان هذا كل ما أريده وفى صباح اليوم التالى كنت أقف أمام رئيس التحرير وهو يقرأ التحقيق الصحفى الذى كتبته ، وكان عبارة عن خطة لسرقة المتحفكما تخيلت أن اللص المجهول قد سلكها فى السرقة .

حدّق رئيس التحرير فى وجهى ، وكانت نظراته تؤكد أننى جننت بصحيح ، لكنه بلا أى تردد كتب رأيه فى الموضوع وكانت كلمة واحدة هى .. ينشر !

تلك كانت أول علاقة لى باللص الذى أصبح صديقى !

فيما بعد عندما انكشف لغز السرقة وعادت لوحة (أزهار الخشخاش) إلى المتحف ، قال اللص الذى سرقها (حسن العسال) لرجال المباحث : إنه حين قرأ التحقيق الذى كتبته عن سرقة اللوحة شك للحظات فى أننى كنت موجودًا بالقرب من المتحف أثناء قيامه بالسرقة ، لأننى فعلت ما فعله بالضبط .

فيما بعد نشأت صداقة بينى وبين حسن العسال الذى كان رجال المباحث يرونه أخطر لص بالقاهرة وأراه مجرد إنسان سئ الحظ كان يمكن أن يكون فنانًا أو ضابطًا أو حتى صحفيًا !

جاء الطفل (حسن العسال) وسط أسرة محترمة تعيش فى فيلا فى الهرم ، الأب محام كبير مشهور ، والأم سيدة فاضلة من أصل تركى ، ولأن أحدًا لا يعرف مصيره عندما يولد فلم يكن يخطر أبدًا على بال حسن أنه سيصبح لصًا ، لكنها الحكاية المكررة ، كان الأب شديد القسوة على أولاده الثلاثة وبالذات على أصغرهم حسن ؛ لأنهم لا يهتمون بالدراسة كما ينبغى ، وكانت النتيجة أن هرب الشقيقان الكبيران من المنزل فرارًا من قسوة الأب .. تركا الصغير حسن يتعرض وحده للوم والتأنيب ، وبينما كانت الأم الطيبة تحنو على طفلها ذى العينين العسليتين ، كان الأب يمارس عليه المزيد

من القسوة حدثت النتيجة المتوقعة أن هرب حسن وعمره ١٣ سنة إلى الشارع بعد أن هجر الدراسة .. وفى الشارع تلقفه أولاد الحرام .. وعلموه المهنة الخطرة .. سرقة البيوت !

● قال لى حسن : حاولت أن أتعلم أى مهنة .. عملت مصورًا بعض الوقت .. لكن عالم الجريمة لم يتركنى أبدًا ، كان أصدقاء السوء يدفعوننى دفعًا إلى الجريمة ، كنت بلا أسرة ولا أصدقاء يقدمون المساعدة والنصيحة ، وهكذا تحولت تدريجيًا إلى أخطر لص مساكن محترف ، كنت عندما أذهب إلى سرقة بيت أرتدى القفاز حتى لا أترك آثار بصماتى .. وأرتدى حذاء باليه حتى أتحرك فى خفة وصمت .. وأصبحت شهرتى (لص حذاء الباليه) !

من حى شبرا اختار حسن شريكة حياته .. فتاة هادئة من منطقة اسمها العسال ، وبهذا الزواج أصبح حسن اسمه (حسن العسال) ، وعندما جاءت الأولاد كثرت مطالب الزوجة ، وبدأت تهجر البيت معظم الوقت إلى بيت أهلها ، واشتدت الخلافات فطلقها حسن وتزوج من فتاة أخرى كانت تحبه بجنون ، ولا تريد له أن يمضى فى طريق الجريمة ، ووعدها حسن أن يبحث عن عمل شريف ، لكنه أخبرها أن عليه أن يقوم بسرقة واحدة ، لحساب مرشد سياحى يسكن فى الهرم ، كان قد اتفق معه أن يسرق (لوحة أزهار الخشخاش) من المتحف مقابل ألف جنيه !

وتاب حسن بعد سرقة اللوحة !

وذات يوم ذهب مع طفلته الصغيرة لزيارة العميد محمد عبد النبى مفتش المباحث ؛ فالمفروض أن يذهب اللصوص التائبون إلى الضباط الذين يتابعونهم ، ليتأكد الضباط من صدق توبتهم ويساعدوهم على حل مشاكلهم .

وحدث شيء غريب ! كان الضابط ـ وهو فعلاً رجل طيب القلب ـ قد طلب من المخبر الذى يقف على باب مكتبه أن يشترى شيكولاتة لابنة حسن العسال .

اهتز حسن بهذا التصرف الإنسانى ودمعت عيناه ، وكنوع من التعبير عن العرفان كشف للضابط عن لغز سرقة لوحة أزهار الخشخاش ، واعترف بأنه هو الذى سرقها ، ووعد أن يساعد رجال المباحث فى إعادة اللوحة ، كل ذلك من أجل قطعة شيكولاتة ! وقضت المحكمة بحبس حسن سنة ، لكنها أوقفت الحكم وخرج حسن من المحكمة سعيدًا على أمل أن يبدأ حياة جديدة شريفة ، بعد أن وعده رجال المباحث بمساعدته فى الحصول على كشك سجائر ، ومضت شهور .. وفى ليلة سهرت فيها أقرأ فى بيتى ، كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل ، كان السكون يعم البيت أطفالى نائمون ، وفجأة سمعت صوتًا غريبًا ، وفجأة وجدت أمامى فى بيتى وفى هذا الوقت المتأخر ، شابًا مجهولاً يقف فى ردهة البيت ، وقبل أن أتحرك علت وجهه ابتسامة شاحبة ، وقال بهمس : أرجوك .. لا تخف .. ولا توقظ النائمين .. أنا حسن العسال !

حتى الفجر جلسنا نتحدث وفتح حسن العسال قلبه لى ، بعد أن اعتذر عن هذه الطريقة لدخوله بيتى ، قال لى إنه سوف يسرق اللوحة مرة أخرى ؛ لأن ظروفه المادية تعسة وأطفاله لا يجدون ما يأكلونه ، قال لى لا يمكنه العثور على عمل شريف ؛ لأن سمعته كلص تائب تطارده والناس تنسى دائمًا كلمة (تائب) وتتذكر فقط كلمة (لص) . قال لى : إن مكافآت ضخمة وزعت على كل ضباط الشرطة الذين اشتركوا فى القضية فى حين أنه لم يحصل على مليم واحد ، رغم أنه الذى اعترف بكل شيء ، وبفضله عادت اللوحة .

ورويت قصة حسن لأستاذى الكبير مصطفى أمين ، فقال لى : إن الطريقة الوحيدة التى يمكننا أن نساعده بها ، أن تنشر (أخبار اليوم) مذكراته وتدفع له مبلغًا ، هكذا تحول حسن إلى صحفى وظل طوال شهرين يكتب مذكراته فى (أخبار اليوم) التى للأسف لم تستطع أن تدفع له مقابلها سوى مبلغ مائة جنيه .. فماذا تفعل مائة جنيه للص سابق وزوجته وثلاثة أفواه صغيرة تريد أن تأكل ثلاث مرات كل يوم ؟! كانت الأيام قد وطدت صداقتى بحسن العسال !

أصبح يزورنى هو وزوجته وأطفاله فى البيت .. فتح قلبه لى أكثر .. روى لى أسرارًا مذهلة عن عالم الجريمة السفلى .. كان يعتصر ألمًا وهو يقول إن القدر أقوى من الإنسان ، وأن المرء لا يختار حياته وإنما تفرضها عليه ظروفه .

وساءت أحوال حسن أكثر وأكثر !

وفى يوم جاءنى فى أخبار اليوم وقال لى إنه باع كل شيء حتى (عفش) بيته ليطعم أطفاله ، ولم يعد لديه ما يفعله سوى أن ينزع بلاط الشقة ويبيعه ليشترى علبة لبن لطفله الصغير .

أخذت حسن العسال من يده ..

غادرنا الجريدة إلى وسط القاهرة .. لم يسألنى إلى أين نحن ذاهبان .. لكنه توقف مترددًا على باب البنك الأهلى وأنا أسحبه معى لدخول البنك ، فى النهاية استسلم ودخل معى .

وقفت أمام الصراف سألته : من فضلك .. ما هو إجمالى رصيدى عندكم ؟

نظر الصراف فى دفتره ، ثم قال : ألفا جنيه .. فقط .

أخذت ألف جنيه من الصراف .. خرجت من البنك ومعى حسن العسال مذهولاً .. توقفنا على الرصيف .. أعطيته الألف جنيه .

قلت له : إذا كان مستقبلك وحياة أولادك تحتاج إلى معجزة .. إلى كشك سجاير .. وكشك السجاير يحتاج إلى ألف جنيه .. فهذه هى الألف جنيه .. خذها !

نظر حسن إلى الألف جنيه غير مصدق ..

سألنى : لماذا تفعل ذلك ؟

قلت : ولماذا لا أفعل ؟

قال : سأظل مدينًا لك طوال العمر .. ولكنى خائف .

قلت : من ماذا ؟

قال : لن يتركنى قدرى !

مضت شهور .. ومضى عام !

ذات صباح وجدت على مكتبى رسالة من سجن طره .. كانت من حسن العسال وكان يقول فيها : أرجوك أن تحضر لمقابلتى فى السجن لقد لفقوا لى تهمة مخدرات .. اللصوص لم يتركونى أبدًا فى حالى . وحاولوا طوال الوقت أن يجرفونى معهم مرة أخرى إلى عالم الجريمة ، والضباط لم يرحمونى وحاولوا تجنيدى مرشدًا لهم وضعت .. بين أولئك وهؤلاء .. أريدك لدقائق أريدك ألا تظن أننى أهدرت الفرصة التى منحتها لى .. أنت القاضى الوحيد الذى يهمنى أمره .. أنا فى انتظارك .. ألم أقل لك إن القدر أقوى ؟!

و .. لم أستطع قراءة الرسالة مرة أخرى ، ولم أذهب للقاء حسن ، فقد تملكنى إحساس طعمه مر بأنه خان حلمى وحلم زوجته وأطفاله ليضع لنفسه ولهم الحياة الجديدة و ...

انقطعت عنى أخبار حسن ، ولم أهتم بالسؤال عنه بعد أن خرج من السجن ، ولم أحاول معرفة ما إذا كان قد هزم قدره ، ومرت سنوات وانتهى الأمر بحسن إلى العمل (كفتوة) فى أحد ملاهى شارع الهرم يتصدى للبلطجية والسكارى .. ويعود آخر الليل

لأولاده بعين منتفخة من السهر وأخرى متورمة ربما من قبضة يد بلطجى أو سكير ، وانتهى الأمر بأن أغمد أحدهم سكينه فى قلب حسن ، سقط على الأرض صريعًا .. وأغمض عينيه للمرة الأخيرة فى حياته !

* * *

مع السلامة .. يا صاحبى !



*سميرة موسى : تمنيت لو كنت ملكة جمال!

*بداية انطلاق العبقرية: عندما قرأت نعي سعد زغلول من الذاكرة

*تزوجت العلم ولا يوجد فى حياتى رجل ينافسه

- بعد حصولها على الدكتوراه : كرست سميرة موسى وقتها لرعاية مرضى السرطان بقصر العينى .
- حظيت سميرة موسى باهتمام وتقدير أبناء الجامعة المصرية واحتفلوا بها .
- تمتعت سميرة موسى بالاناقة وكانت محبة للحياة .
- سميرة موسى تواصل أبحاثها لخدمة العلم ، وصورة من كتاباتها .
- سميرة موسى فى مكتبها تواصل رسالتها العلمية .
- أيام الدراسة فى لندن بين زملاء الجامعة .
- إحدى كتابات سميرة موسى عن العالم الشهير (الكندى) .
- رغم مشاغلها العلمية كانت سميرة موسى تحرص على التنزه والاصطياف والتمتع بالحياة .

فى صباح يوم الجمعة ١٥ أغسطس من عام ١٩٥٢ لقيت فتاة مصرية خمرية اللون فرعونية التقاطيع مصرعها فى ولاية كاليفورنيا بأمريكا ، فى حادث سيارة غامض !

وبعد أسبوعين ..

هبطت طائرة أمريكية فى مطار القاهرة ، أسرعت تقف إلى جوار باطنها سيارة إسعاف ، وفى صمت حمل بعض الرجال من باطن الطائرة تابوتًا حملته سيارة الإسعاف مسرعة إلى منزل أسرة الفتاة التى روّعها خبر مصرعها الغامض ..

وتم وضع التابوت فى نفس حجرة نوم الفتاة ، نفس الحجرة التى شهدت أيام شبابها ، وكانت مهدًا لأحلامها التى لم تتحقق كلها ..

أطاح الحزن بصواب أسرة الفتاة القتيل ..

وأصرت أمها الثكلى على أن ترى جثمانها ..

واضطر أفراد الأسرة لكسر التابوت الخشبى ، ففوجئوا داخله بصندوق من الرصاص ، وعندما فتحوه وجدوا صندوقًا آخر من الرصاص ..

فتحوا الصندوق ووقفوا فى ذهول وخشوع ينظرون إلى جثمان ابنتهم المصرية ، خمرية اللون ، فرعونية التقاطيع !

كان المشهد مروعًا .. يهز أعتى القلوب ..

كانت ترقد مرتدية كامل ملابسها ، كأنها لاتزال على قيد الحياة ، كأنها ذاهبة إلى حفل ساهر طويل ، شعرها مصفف بطريقة جميلة ، الساعة الذهبية تلمع فى يدها ..

سوار آخر جميل يزين رقبتها ..

نزعت الأم نفسها من أمام تابوت ابنتها ، جرجرت قدميها إلى خارج الحجرة ..

قالت فى ذهول المجانين لأولادها وبناتها : خشوا شوفوا أختكم .. زى العروسة !

و ...

كان هذا هو المشهد الأخير فى حياة عالمة الذرة المصرية الدكتورة سميرة موسى .. التى ما زالت أسرار نهايتها الغامضة ، مجرد علامات استفهام حائرة ، طوال الـ ٤٧ عامًا الماضية ..

هل لقيت مصرعها .. قضاء وقدرًا ؟!

هل اغتالوها ؟

ومن ؟

الأمريكان ؟

أم اليهود ؟

* * *

فى قرية (سنبو الكبرى) مركز زفتى بمحافظة الغربية ، ولدت سميرة موسى ..

كانت البنت الرابعة فى الترتيب بين أخواتها التسع ـ سبع بنات وولدان ـ هم هانم وفتنة ووديعة وسميرة وأحمد وعواطف وفكرية ومسرات وماهر ..

كان جدها لوالدها أول من تعلم فى القرية ، وكان أفنديًا يرتدى الطربوش ، وكان يعمل فى مصلحة الأموال ، أما والدها فكان مزارعًا ميسور الحال ، والغريب أنه كان يتمنى أن تولد سميرة .. صبيًا !

وبين دروب وحوارى قرية (سنبو الكبرى) ، وتحت ظلال أشجار الجميز التى تحيط بترعها نشأت سميرة موسى وترعرعت ، كانت من البداية طفلة غير عادية ، صحيح أنها كانت مثل كل الصغار تميل إلى اللعب كثيرًا ، لكنها ما إن أصبحت صبية صغيرة حتى بدأت تفضل العزلة والانزواء ، ولم يكن أحد من أهل البيت المزدحم يسمع لها حسًا ، إذا تكلمت خرج صوتها أقرب إلى الهمس ، وسرعان ما بدأت تحتل مكانًا مميزًا لدى والدها الذى لم يكن يرفض لها طلبًا !

وظهر نبوغ سميرة موسى مبكرًا ..

كانت هناك واقعة شهيرة تعتبر محطة انطلاقها الأولى ، كانت لاتزال تلميذة صغيرة عندما مات الزعيم سعد زغلول ، وطلبوا منها فى المدرسة أن تقرأ نعيه المنشور فى الجريدة ، فقرأت سميرة النعى دون أن تخطئ فى كلمة واحدة ، وأعجب المدرسون بها ، فطلبوا منها أن تقرأ النعى مرة أخرى ..

وكانت المفاجأة التى أذهلتهم ..

وضعت التلميذة الصغيرة سميرة موسى الجريدة جانبها ، وبدأت تتلو النعى من الذاكرة ، بعد أن حفظته من مجرد القراءة الأولى .. وأيضًا لم تخطئ فى كلمة واحدة ..

وأسرع مدرسها حسين البكرى يقول لوالدها : دى بنت عبقرية .. ولازم تهتم بها ..

وأدرك المزارع البسيط بفطرته .. عبقرية ابنته .. قبل أن تدركها هى !

وباع قطعة من أرضه ، ورحل إلى القاهرة حيث اشترى لوكاندة فى حى الحسين ، وأخرى فى العتبة هى (لوكاندة وادى النيل) التى لا تزال قائمة يديرها شقيقها الصغير ..

و ...

بدأت سميرة موسى رحلتها مع العلم .. والحياة ..

★ ★ ★

النبوغ لا يدق الأبواب .. وإنما هى الأبواب التى تتفتح تقديرًا واحترامًا له !

وعندما التحقت سميرة موسى بمدرسة البنات الأشراف الأهلية التى كانت تشرف عليها الرائدة نبوية موسى .. كانت سميرة تتمنى أن تدرس العلوم ، ولم يكن بالمدرسة قسم للعلوم ، ففتحت لها نبوية موسى هذا القسم خصيصًا ، بل وأقامت لها معهدًا ، وتخرجت سميرة موسى لتكون الأولى على القطر المصرى ، والتحقت بكلية العلوم وتخرجت الأولى أيضًا على الكلية ، وكان من المفروض أن تصبح معيدة ، لكن الجامعة رفضت .. لماذا ؟

لأنها بنت !

وكانت مناصب التدريس وقتها مقصورة على الرجال ، لكن أستاذها الدكتور مصطفى مشرفة ـ الذى كان صديقًا لعالم الذرة أينشتين ـ هدد بالاستقالة إذا لم تقبلها الجامعة كمعيدة !

وقد كان للدكتور مصطفى مشرفة دور مهم فى حياة سميرة موسى واتجاهها لأن تكون أول عالمة ذرة مصرية !

وكانت جادة فى دراستها .. تعشق العلم والقراءة ..

كانت تذاكر وتظل تقرأ طوال الليل .. حتى يغلبها النوم وتسقط الأوراق على صدرها ، ويدخل عليها والدها فى هدوء ويجمع الأوراق وينصرف على أطراف أصابعه ويغلق باب الغرفة بحذر ، لتنام ابنته العبقرية الساعات القليلة التى تبقت من الليل .

وسافرت سميرة موسى إلى لندن عام ١٩٤٧ لتحصل على رسالة الدكتوراه ..

وكان المفروض أن تحصل عليها فى ثلاث سنوات ، لكنها حصلت عليها فى ١٧ شهرًا فقط ، وكتب جتيس هارديسون المسجل الأكاديمى لكلية بيد فورد الإنجليزية فى شهادة الدكتوراه : « إن جامعة لندن تكرم سميرة موسى على بمناسبة انتهائها من دراستها بالجامعة ونجاحها فى امتحاناتها .. وفى هذا اليوم نعترف بحصولها على درجة الدكتوراه فى الفلسفة فى كلية العلوم مجال الفيزياء النظرية » .

وأصبحت سميرة موسى دكتورة وأستاذة فى الجامعة ..

ورغم أنها أصبحت من نخبة العلماء الذين تتابع الصحف والمجلات أخبارهم ، إلا أنها كانت تعيش حياتها كإنسانة عادية للغاية ، كانت تعشق العزف على العود والكمان والفلوت .. وعلمت نفسها كيف تجيد العزف على هذه الآلات الموسيقية ، وكانت مغرمة بمشاهدة الأفلام الأمريكية ومتابعة الجديد منها الذى يصل إلى دور العرض بالقاهرة ..

ورغم أنها كانت تهوى الثياب الأنيقة وتختارها من أشهر محلات وسط القاهرة ، إلا أنها فى أحد الأيام كادت أن تتخلف عن الذهاب إلى قصر عابدين لحضور حفل أقامه الملك فاروق لتكريم الأوائل ؛ لأنها لم تجد فى خزانة ثيابها ما يناسب هذا الحفل .

لكنها سهرت طوال الليل مع شقيقتها فكرية التى كانت تدرس الفنون التطريزية ، حتى انتهت من صنع ثوب مناسب لها .. وذهبت إلى حفل الملك !

★ ★ ★

قلائل هم الرجال ... الذين دخلوا عقل سميرة موسى ..

لكن .. ولا رجل واحد دخل قلبها !

أساتذتها دخلوا عقلها بتوجيهاتهم وتشجيعهم ..

أما قلبها .. فقد كان ممنوعًا على الرجال !

تقول أختها فكرية موسى : لم تكن لأختى سميرة حياة عاطفية على الإطلاق ، وعندما كنتُ أحفزها على الزواج لكى نلحق بها .. كانت تقول لى : اذهبى أنت وتزوجى .. مالك بى ؟

تؤكد شقيقتها الكبرى (هانم) أن عددًا من الرجال المحترمين تقدموا للزواج منها ، لكنها رفضتهم جميعًا ..

وكانت تقول : أنا تزوجت العلم ، ولا يوجد رجل ينافس العلم !

كانت تقول ذلك : لكن !

كان فى أعماق هذه العالمة العبقرية أشياء أخرى غير نظريات الذرة والمعادلات العلمية العويصة ، كانت فى أعماقها « امرأة نادرة » من نوع خاص ..

هناك أوراق بخط يدها تقول فيها :

« تمنيت أن أكون ملكة جمال .. يزين هالتى تاج من نور وأحكم على عرش القلوب ..

تمنيت أن أكون أميرة جميلة .. أو زهرة عطرة .. وتمنيت أن أكون أديبة مشهورة .. فهل تتحقق الأمانى وتجاب الرغائب ؟ وهل إذا تحققت تهدأ النفس الثائرة المتمردة وتقنع ؟

لا لن تهدأ .. بل ستتجدد الأمانى وتزيد .. فأتمنى وأتمنى .. ولن تغنينى الأمانى شيئًا ! »

★ ★ ★

وصلت سميرة موسى فى علم ١٩٥٠ إلى أوج نجاحها وشهرتها .. وصفتها مجلة (آخر ساعة) فى ذلك الوقت بـ (مس كورى المصرية) ، وكانت قد خصصت معظم وقتها لرعاية مرضى السرطان وعلاج الفقراء بالذرة فى مستشفى قصر العينى ..

وقال زملاؤها : ما تفعله سميرة موسى فى قصر العينى من إخلاص وما تبذله من تفان .. هو عمل الممرضات !

ولم تكن الدكتوراه هى نهاية المطاف بالنسبة لها ..

فسافرت إلى أمريكا فى منحة علمية .. والمفروض أن يزور دارسو هذه المنحة المراكز العلمية فى أكثر من ولاية .. وتحدد لسميرة موسى أن تزور أحد هذه المراكز .

كان المفروض أن تسافر بالطائرة ، لكن فى ليلة سفرها تقرر أن تسافر بالسيارة ، وكانوا قد عرضوا عليها الجنسية الأمريكية لكنها رفضت ، وفى صباح يوم الجمعة ١٥ أغسطس ١٩٥٢ انطلقت فى رحلتها داخل سيارة يقودها سائق هندى .. وفى الطريق وقعت الكارثة !

اصطدمت سيارة لورى بسيارتها من الخلف ودفعتها لتسقط فى هاوية جبل ..

ولقيت سميرة موسى مصرعها .. واختفى السائق تمامًا !

وفيما بعد اكتشفوا أن .. اسمه مستعار !

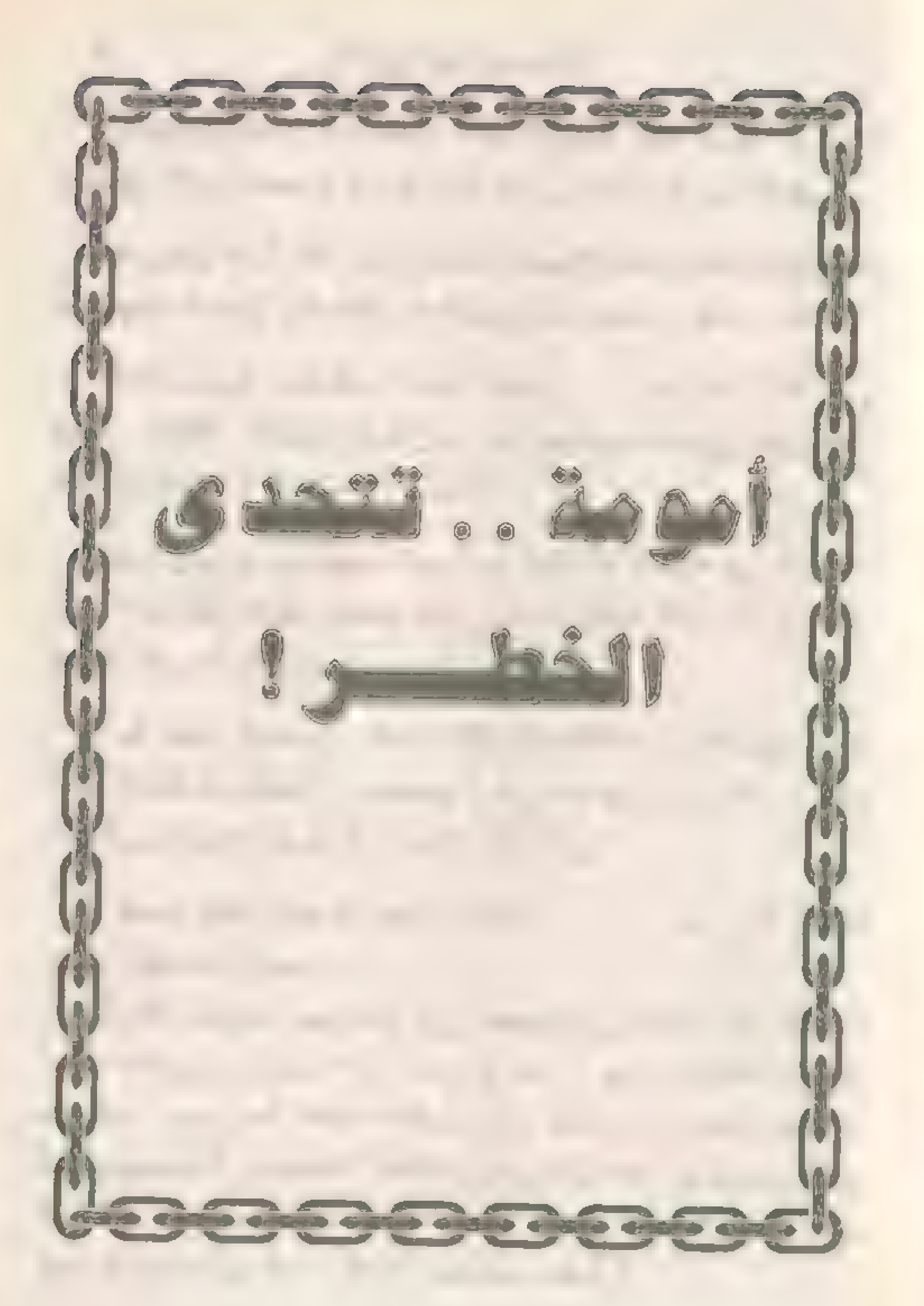
★ ★ ★

لا توجد تقارير رسمية تؤكد مسألة اغتيال سميرة موسى ، لكن الملابسات كلها مريبة ، فمن المؤكد أيضًا أنه بعد وصول سميرة موسى إلى أمريكا - ولابد أن شهرتها قد سبقتها - جعلت الأمريكان - كعادتهم - يعدون تقارير عن تركيبتها ومواصفاتها النفسية ، بعد أن وضعوها تحت الاختبارات النفسية لتحديد مواطن الضعف والقوة فيها ، وهذه التقارير بالمناسبة أفرجت عنها جريدة (نيويورك) الأمريكية مؤخرًا للفئة (C) من الكتاب والصحفيين الأمريكيين ، وقد حصلوا على نسخة منها ، وتؤكد هذه التقارير أن : « سميرة موسى يمكن أن تكون عالمة أمريكية وان تحصل على الجنسية الأمريكية .. وبسرعة » ! وقد أرسلت هى نفسها رسالة إلى والدها

تقول فيها إنهم عرضوا عليها الجنسية الأمريكية ، لكنها رفضت وقالت له : « لا أجد فى أمريكا شيئًا يجعلنى أبقى بها ، سوى المعامل المتقدمة التى تتيح لى دراسة علم المستقبل .. الذرة » !

وأيضًا مما يؤكد تفسير اغتيالها أنه تقرر فى اللحظات الأخيرة أن تسافر بالسيارة بدلاً من الطائرة .. وأيضًا حسب الرواية الرسمية فإن سيارتها سقطت فى هاوية الجبل ، فكيف إذن يكون تقرير السفارة الأمريكية أن جثمانها قد سلم لأهلها وهى فى كامل شكلها ؟! كيف لم يتشوه الجثمان من السقوط من هذا الارتفاع المخيف وتحطم السيارة تمامًا ؟ وشىء آخر .. لابد أن نسأل : هل صحيح أن الأمريكان واليهود ـ فى ذلك الوقت ـ كانوا خائفين من البرنامج النووى المصرى حتى قبل أن تقوم وتعلن دولة إسرائيل رسميًا ؟ المؤكد أنه فى ذلك الوقت وبعد أن باح العالم روزنبرج وزوجته بسر القنبلة الذرية للاتحاد السوفيتى أصبح محتمًا على أمريكا أن تخطط للسيطرة على علماء الذرة فى أى مكان وليس فى أمريكا وحدها ..

وعمومًا فإنه يمكن أيضًا تفسير مصرع سميرة موسى على أنه قضاء وقدر .. لكن من قال إن حوادث الاغتيال يتم الاعتراف بها ؟! إسرائيل نفسها لم تعترف باغتيالها لعالم الذرة المصرى د. يحيى المشد إلا بعد فترة طويلة ، ظلت لسنوات تقرر أنه لقى مصرعه لأسباب عاطفية .



لم يكن صباحًا عاديًا ذلك الذى شهدته تلك الشقة الواقعة بالطابق ٣ من العمارة ٢٤ بشارع عباس العقاد بجزيرة الذهب !

كيف يكون عاديًا وقد التهبت نسائم الصباح الباردة وتحولت إلى كتلة من الهواء الساخن وقد اختنق المكان برائحة الموت .. النار .. الدخان .

اشتعل حريق مخيف والناس نائمون .. وتحولت الشقة إلى جهنم ، وتدافع الناس مذعورين من بيوتهم عاجزين عن إنقاذ الأسرة الصغيرة التى تسكن الشقة !

وفجأة ومن وسط لهيب النيران خرجت الأم الشابة إلى الشرفة ، تحمل على كتفها ابنها الصغير وفى بطنها الوليد الذى مازال ينتظر شهرًا على مقدمه للحياة .

وسط ذهول الناس .. قفزت الأم الشجاعة من الطابق الثالث وهى تحتضن طفلها .. وتجمع الناس حولها فى رعب .. لكن سرعان ما صاح أحدهم فى ذهول : الله أكبر !

لم يصب الطفل الصغير بخدش واحد .. وكأن صدر أمه وسادة حانية أنقذته من الموت !

أما الأم فقد نقلوها بسرعة إلى المستشفى ليجرى لها الأطباء ثلاث عمليات جراحية فى نفس الوقت .. جراحة لإنقاذها من حروقها .. وجراحة للعمود الفقرى الذى انكسر .. وعملية قيصرية كانت نتيجتها أن استقبلت الحياة .. مولودة جميلة خرجت من قلب المأساة .. وعندما فتحت الأم الشجاعة عينيها لتجد مولودتها إلى جوارها نائمة فى هدوء قالت : نسميها سالمة !

وهذه هى حكاية أشجع أم .. أو الدكتورة سهير عبد الوهاب !

* * *

كل سكان جزيرة الذهب يعرفونها .. ويحبونها ..

فلم يكن هناك بيت فى الجزيرة ، لم تضمد جراح طفل شقى فيه ، أو تساعد أما على إنجاب طفلها .

عرف سكان الجزيرة الدكتورة سهير منذ سنوات ثلاث .. عندما جاءت مع زوجها المهندس أحمد هديب .. وسكنا شقة صغيرة وبعد فترة افتتحت عيادة لخدمة أهل الجزيرة على مقربة من البيت .

وعاشت سهير وأحمد يكافحان الحياة مثل غيرهما من ملايين الشباب فى مقتبل العمر ، كانا قد تزوجا بعد قصة حب ، وبالعمل قررا أن يحولا أحلامهما إلى حقيقة ، كانا يحلمان بعش صغير وأسرة صغيرة ، وكان أحمد يحلم بأن تكون لشريكة عمره عيادة بسيطة تمارس فيها تخصصها وهو أمر النساء والولادة .

وحين عثرا على تلك الشقة طار الاثنان من الفرح والسعادة .

● قالت الدكتورة سهير لأحمد : سوف نعيش فى جزيرة غير عادية .. جزيرة الذهب !.

ـ رد أحمد على الدكتورة سهير ضاحكًا : جزيرة .. حبنا !

* * *

لم يكن هناك شىء يؤرق أحمد وسهير سوى ابنهما معتز كانت سهير قد أنجبت ولدين عمرو ومعتز والذى ولد وهو يعانى من تخلف عقلى وثقب فى القلب .. ورغم أن معتز كان يحتاج إلى رعاية مستمرة ،

إلا أن سهير لم تقصر لحظة فى واجبات بيتها أو حقوق المرضى .

فى تلك الليلة ..

دق جرس الباب قبل الفجر بقليل ، وعندما فتح أحمد الباب فوجئ بأحد أطفال الجيران وعلى وجهه إمارات الانزعاج .

ـ قال له الطفل : عايزين الدكتورة سهير .. أصل ماما بتولد !

وذهب أحمد ليوقظ سهير من نومها وهو مشفق عليها .. كان يعلم أنها طبيبة وأنه لمر عادى أن يطلبها المرضى فى أى ساعة من ساعات النهار أو الليل ، لكنها كانت حاملاً فى الشهر الثامن وتحتاج إلى الراحة .

ومع ذلك فقد نهضت سهير بسرعة وارتدت ملابسها فى دقائق ، وأسرعت إلى بيت الجارة وظلت إلى جوارها ساعة .. أعطتها فيها علاجًا وجلست حتى اطمأنت عليها .. ثم عادت إلى البيت والنعاس يغالب جفونها !

* * *

هى لا تتذكر كم من الوقت مضى منذ أن أوت إلى فراشها ، كل ما تتذكره أنها حين عادت ، وجدت طفلها الصغير معتز قد فعل كما تعود ، فقد استيقظ وهو نائم وتسلل إلى فراشها ، ابتسمت وصعد إلى الفراش وقبلته على جبهته قبلة خفيفة ، ثم استغرقت فى النوم !

وفجأة استيقظت سهير وهى تصرخ !

للحظات تصورت أنها تشهد كابوسًا مرعبًا لكنها سرعان ما أدركت الحقيقة .. كانت ألسنة النار قد ارتفعت فى ستائر حجرة النوم .. بعد أن شب حريق مجهول مصدره .

أسرعت سهير تحمل معتز فى صدرها وكان لا يزال نائمًا ، وهرعت إلى ردهة الشقة وهى تصرخ :

● أحمد .. قوم البيت بيولع .. ياساتر استر يا رب !

ضاع صوتها وسط صوت النيران التى كانت قد امتدت إلى أثاث الشقة ، بل إنها شبت فى ورق الحائط ، فتحولت الشقة إلى مصيدة نار !

هرعت إلى باب الشقة تريد الهروب من هذا الجحيم والولد لايزال على صدرها ، لكن يدها سرعان ما ارتدت وهى تصرخ ، احترقت يدها لأن مقبض الباب المعدنى تحول إلى كتلة ملتهبة حمراء .

فى هذه اللحظة كان زوجها قد استيقظ .. وظهر من بين سحابات الدخان الأسود التى أحالت المكان إلى ليل فى عز النهار !

* * *

ليس هناك أقوى من النار !

وهكذا تذكرت سهير وهى فى لحظات الرعب وشبح الموت يرقص مع ألسنة النيران ، عشرات من المرضى فى مستشفى أم المصريين حيث تعمل ، والذين شاء سوء حظهم أن يكونوا ضحايا لحرائق .. وكيف كان قلبها ـ رغم أنها طبيبة يتمزق وهى ترى آثار الحروق المخيفة ، التى تلتهم الجلد واللحم ، ولا تترك من هؤلاء المساكين المشوهين سوى العظام !

أول ما فعله أحمد أن أسرع إلى عداد الكهرباء حيث قام بفصل التيار الكهربائى ، فقد كانت النيران قد امتدت إلى الأسلاك ،

وأصبح مجرد السير على الأرض يعرض أفراد الأسرة الصغيرة لخطر الموت صعقًا بالكهرباء !

كان الجيران قد تجمعوا حول البيت عاجزين عن تقديم أى مساعدة .. اتصل بعضهم بالمطافئ والشرطة .. وأحضر بعضهم بطانية ومرتبة ووقفوا تحت البيت الذى كان يحترق ، وقلوبهم تدعوا الله أن تكون أسرة طبيبة جزيرة الذهب بخير ..

وأخيرًا ..

خرج أحمد إلى الشرفة وهو يحمل طفله عمرو وصرخ الجيران يطلبون منه أن يقذف إليكم بالطفل ، على أن يلتقطوه فوق المرتبة التى يحملونها .

والله وحده يعلم ماذا دار فى عقل الأب فى تلك اللحظة .. لكنه استجمع كل شجاعته ، وأغلق عينيه وهو يلقى بطفله من الدور الثالث .. لكنه حين فتح عينيه بعد لحظة ، رفعها إلى السماء شاكرًا ..

الحمد لله .. سقط عمرو فوق المرتبة دون أن يصاب بخدش واحد !

وعاد أحمد إلى داخل الشقة ليحاول إنقاذ سهير ومعتز .. وفى نفس الوقت كان عمرو الذى وصل إلى الأرض سالمًا يرفع عينيه إلى الشرفة فى حيرة طفل لكنه إنسان يشعر ويتألم ويخاف .

● وسمعه الجيران يصرخ : يا رب .. بابا وماما ومعتز !

★ ★ ★

التهمت النيران كل شىء ..

لم يعد هناك مكان يمكن الهروب إليه سوى الشرفة ، عاد أحمد مع سهير التى لا تزال تحضن طفلها معتز ، كان الحل الوحيد هو القفز إلى الشارع !

لم يكن لدى سهير نفس شجاعة أحمد ، ولم يطاوعها قلب الأم أن تقذف بمعتز من على ارتفاع ثلاثة طوابق .. لكن الوقت كان يمضى بسرعة والنيران تقترب من باب الشرفة !

وفى مشهد مثير ..

احتبست أنفاس الناس تحت البيت وهم يشاهدونها تصعد إلى سور الشرفة ، وتحكم ذراعيها حول معتز الذى كان يرقد فى صدرها فى فزع دون أن تسقط منه دمعة واحدة .. لحظة .. ثم ألقت سهير بنفسها فى الشارع لتهوى مع طفلها من هذا الارتفاع !

سقطت على ظهرها ..

وسمع الناس صوت عظام ظهرها وهى تتكسر .. أسرعوا إليها .. فوجدوها ما تزال تحتضن طفلها .. الذى لم يصب بأى شىء .. ولكنه رقد فى حضن أمه يقبلها .. وقد هبطت الدموع أخيرًا فى عينيه البريئتين !

★ ★ ★

كان رب الأسرة آخر من ترك الشقة التى تحولت إلى جهنم !

كان الجيران قد تمكنوا من الوصول إلى الشرفة بالطابق الثانى ، وتمكن أحمد من الوصول إليها بعد أن هبط على أسلاك الكهرباء !

صرخت سهير فى الجيران ألا يحملوها بأيديهم فهى طبيبة وأدركت أن كسور ظهرها ليست بسيطة وينبغى نقلها بحذر ، وطلبت منهم إحضار لوح خشبى وضعوها عليه برفق ، وفى نفس اللحظة كانت سيارة الإسعاف قد وصلت ، فحملتها إلى المستشفى فى الحال .

ظلت سهير ساعات طويلة فى حجرة العمليات ..

تجمع حولها فريق من الأطباء كل يحاول تقديم المساعدة من ناحية ، فقد كانت حالتها صعبة ، ثمة كسور فى العمود الفقرى ، هذا غير الحروق المختلفة فى أنحاء جسدها ، لكن غير الحروق المختلفة اتخذوا قرارًا بإجراء عملية ولادة قيصرية لها ، بعدما اتفقوا على أن بقاء الجنين فى بطنها سيكون مخاطرة بحياته !

وبعد ساعات نقلوا سهير من حجرة العمليات إلى الإنعاش .. وعندما أفاقت من تأثير المخدر وجدت الدكتور محمد عبد الله الذى قام بإجراء عملية الولادة ، يقف إلى جوارها وهو يحمل طفلة جميلة عمرها ساعات ، كانت تشبه سهير كثيرًا .

- قال لها الطبيب : حمدًا لله على السلامة .

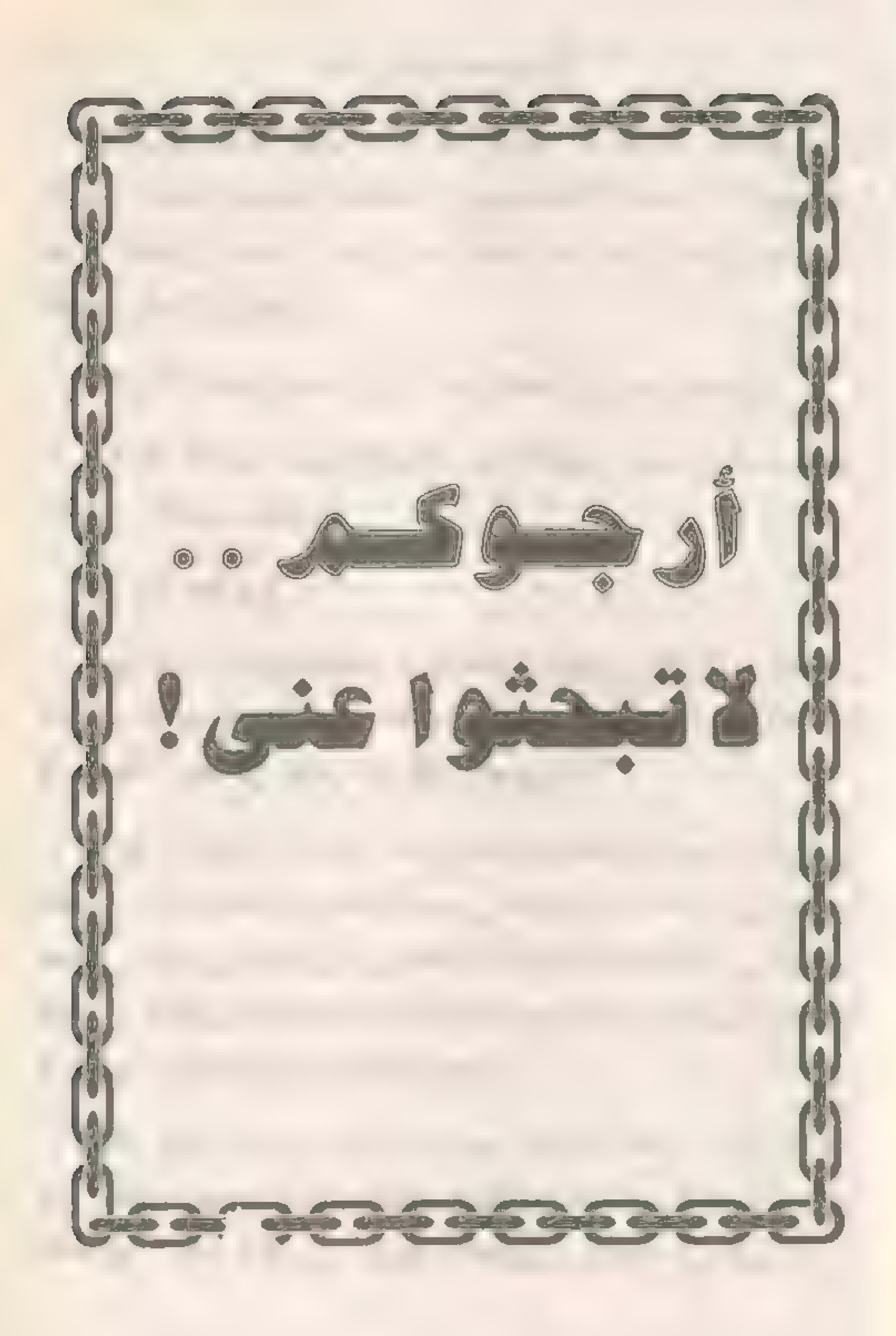
- ردت بهمس : الحمد لله .

- سألها : أى اسم تختارين للمولودة ؟

أغمضت عينيها .. ثم رسمت على شفتيها قبلة أرسلتها عبر الهواء بأصابعها المحترقة إلى مولودتها .

- وقالت : نسميها سالمة !

★ ★ ★



ما زال يحلم بأن تظهر ذات صباح باكر كعادتها .. تخطو فوق الرمال البيضاء بقدمين رقيقتين .. ووجه ملاك خجول .. تهيم على طول الشاطئ وحدها .. مثل زهرة ليست لها اسم .. تغنى بصوتها المبلل بالندى والدموع .

أحكى له يا موج مطروح .. على القلب اللى بات مجروح ..

ويغرق الصوت بين الموج .. ولاتظهر .. وما زال حارس الشاطئ العجوز ينتظرها !

هى بنت مطروح ..

فيها ولدت وعلى شاطئها ترعرعت .. وللموج الأزرق الصافى أعطت آلامها وأحلامها .. لكنها اختارت فراق كل من أحبتهم وأحبوها .. بعد أن اختار لها القدر مصيرها !

اسمها : ماجدة .. كبرى بنات عم عبد الفتاح صول البوليس الطيب .. الذى وفد إلى مدينة مرسى مطروح منذ أكثر من ثلاثين سنة .. وتزوج وعاش فى المدينة الهادئة القابعة فى حضن البحر .. والتى عرف كل سكانها عم عبد الفتاح وأحبوه لطيبته وإخلاصه وتفانيه فى مساعدة الجميع .

وكانت ماجدة أول مولودة يرزق بها عم عبد الفتاح ، ويوم جاءت إلى الدنيا .. حملها الرجل الطيب برفق بين ذراعيه السمراوين من الشمس .. أخذ يدقق فى وجهها الجميل .. وأقسم أن يفنى عمره

من أجل إسعادها .. وحين انحنى بوجهه ليقبل طفلته .. سقطت على وجه الطفلة المولودة .. قطرة شفافة .. دمعة انحدرت من عيون صول البوليس الطيب !

● وهمست أمها : يارب يابنتى .. أعيش وأشوفك عروسة .

وضحك صول البوليس من قلبه .. وضحكت الأم السعيدة .. ونامت مطروح ليلتها على الفرحة !

* * *

ومثل ملايين المصريين البسطاء لم يعرف عم عبد الفتاح حكاية تنظيم الأسرة .. وبعد مولودته الأولى ماجدة .. جاءت حنان .. ومن بعدها سحر .. ثم سهير .. ثم محمد ومحمود .

ـ قالت له زوجته : ربنا يقويك يا أبو ماجدة .

● قال صول البوليس : الرزق على الله ..

ـ قالت زوجته : لكن الحمل ثقيل ؟

● قال : ولو يا أم ماجدة .. نعيش على عيش وملح .. بس نربيهم أحسن تربية .. لازم كلهم يتعلموا ويدخلوا الجامعة نفسى أشوفهم دكاترة ومهندسين .

ـ قالت الزوجة الطيبة : قول يارب !

ماجدة لم تكن أكبر أخواتها فقط ..

كبرت ماجدة وأصبحت فتاة جميلة .. تفوقت دائمًا فى دراستها .. وتنبأ لها مدرسها الأستاذ جورج بمستقبل عظيم .. ورغم ذلك كانت تعود من المدرسة لتساعد أمها فى أعمال المنزل .. وتساعد أخواتها فى مذاكرة دروسهم .. وبعد من أن تنتهى من مذاكرتها وقراءة بعض آيات القرآن .. كانت تختلس بعض دقائق هى أجمل أوقات عمرها !

كانت تسرع وحدها إلى شاطئ مطروح ..

تسير على رمال الشاطئ برفق .. تسرح عيناها مع الأمواج .. حارس الشاطئ العجوز يتابعها بنظراته من بعيد .. رآها وهى طفلة تركض على الرمال .. وعاش ليراها شابة جميلة ..

وتعود أن يسمعها تغنى لنفسها وللبحر أغنية ليلى مراد الشهيرة .

وفى يوم سمعها تغنى من قلبها ، رايداك والنبى رايداك !

وابتسم حارس الشاطئ العجوز لنفسه .. لابد أن الحب قد عرف طريقه إلى قلب بنت مطروح البريئة !

* * *

دق الأستاذ جورج مدرس ماجدة الذى لم تنس فضله حتى بعد أن تركت المدرسة ودخلت كلية الآداب ثم حصلت على الليسانس .. دق باب بيت عم عبد الفتاح وهو لا يستطيع أن يدارى فرحته .

● وقال لعم عبد الفتاح : أنت تعلم أن ماجدة مثل ابنتى تمامًا .. واليوم جئت لأخطبها لأفضل تلاميذى .. ولد مهذب مثلها وشاطر مثلها .. تخرج فى كلية الهندسة وأصبح مهندسًا قد الدنيا .. أنا بخبرتى كأب كنت

ألاحظ أنه أيام الدراسة يكتم مشاعره تجاه ماجدة .. والآن بعد أن أصبح رجلاً .. ها هو يتصرف تصرف الرجال ويتشرف بأن يطلب يدها !

.. وانطلقت زغرودة فى بيت صول البوليس .. وتمت خطبة ماجدة إلى المهندس أحمد ..

وفى اليوم التالى طفرت دموع الفرحة من عين حارس الشاطئ العجوز .. عندما شاهد ماجدة لأول مرة فى حياتها لا تسير على الشاطئ وحدها .. وإنما بجوار خطيبها الشاب !

* * *

هل تستكثر السعادة نفسها على البسطاء ؟!

لا أحد يعرف .. بل ولم يسأل أحد من أفراد عائلة عم عبد الفتاح نفسه هذا السؤال .. لكنهم بدءوا يشعرون بالقلق عندما بدأت ماجدة تعانى فجأة من بعض الآلام فى معدتها .. لكنها سرعان ما كانت تتمالك نفسها ، وتحاول من أن تهدئ من روع عائلتها .

● بسيطة يا ماما .. شوية مغص وراح !

لكن فى ذلك اليوم الكئيب الذى لاينساه حارس الشاطئ العجوز .. شاهد ماجدة تتوقف فجأة ثم تسقط على الرمال وهى تتألم .. وحين أسرع ليساعدها على النهوض .. كانت ماجدة وحدها التى تعلم أى آلام فظيعة تتحملها .

● قالت له متوسلة : وحياتك .. أوعى تجيب سيرة لماما !

وفى اليوم التالى سافرت ماجدة وحدها إلى الإسكندرية لتتعرض

نفسها على أحد الأطباء .. حين عادت كان فى عينيها حزن يكفى مدينة مطروح كلها .

ولم تذهب إلى البيت .. وإنما عرجت على الشاطئ أولاً .. ذهل الحارس حين وجدها لأول مرة تقف أمام البحر والظلام يهبط ..

ـ كانت تغنى بدموعها : احكى له يا موج مطروح .. على القلب اللى بات مجروح !

ولم يعرف الحارس ماذا حدث .. ولم يعرف أى إنسان آخر .. إلا فيما بعد .

* * *

كثر تردد ماجدة على الإسكندرية بمفردها ..

وذات يوم دق جرس التليفون فى بيت الجيران .. وكانت المتحدثة طبيبة تدعى شادية طلبت ماجدة لأمر مهم وذهبت ماجدة مع أختها حنان للرد على التليفون .

● وسمعت حنان الدكتورة شادية تقول لماجدة : الدكتور عايزك تنزلى الإسكندرية ضرورى !

حين أدركت ماجدة أن أختها تستطيع من مكانها سماع المكالمة طلبت منها أن تبتعد .. وظلت ممسكة بسماعة التليفون ووجهها يشحب ويمتقع مع المكالمة الغامضة !

فى صباح اليوم التالى سافرت ماجدة وحدها إلى الإسكندرية .. وشعر عم عبد الفتاح بالقلق .. خاصة بعد أن دخل حجرتها فعثر فى دولابها على كمية من صور الأشعة التى لم يفهم معناها ..

ولم تعد ماجدة إلى مطروح فى نفس اليوم كما كان متوقعًا .. ولم تعد فى اليوم التالى أو الثالث .. وفى اليوم الرابع وصلت منها ثلاث رسائل .. الأولى لأسرتها .. الثانية لأستاذها .. والثالثة لخطيبها .

وفتح الصول الطيب الرسالة التى جاءت مثل قنبلة دمرت هدوء حياة عائلته .. فى الرسالة الموجزة قالت ماجدة لعائلتها : لقد اكتشف الأطباء أننى مصابة بالسرطان فى حالة متأخرة .. ولهذا لن أعود أبدًا إلى البيت .. لا يمكن أن أراكم تتعذبون وأنتم تشاهدوننى أتألم حتى الموت .. سوف أختفى تمامًا .. وليفعل اللّه ما يريد .. سامحونى .

وكانت رسالة الأستاذ تحمل نفس المعنى .. وكذلك رسالة خطيبها .. لكنها وضعت فى رسالة خطيبها شيئًا آخر .. مع الرسالة .. أرسلت دبلة الخطوبة .

* * *

وجن جنون عم عبد الفتاح صول البوليس .

وأسرع إلى الإسكندرية يبحث فى كل مستشفياتها عن طبيبة اسمها شادية أو عن أى طبيب يكون قد فحص ابنته ماجدة .. لكن الرجل اليائس أعياه البحث بلا جدوى .. لم يشاهدها أحد .. لم يسمع عنها أحد .

وعاشت مدينة مطروح أتعس أيامها !

أخوات ماجدة لا يعرفن كيف يواسين أمها التى لم تتوقف عن دموعها .. فقد كانت دموعهن أكثر .. الجيران يريدون تقديم المساعدة .. لكن ماذا فى أيديهم ؟

وبعد أسابيع تلقى عم عبد الفتاح الرسالة التى قصمت ظهره أنهت البقية من قواه !

كانت رسالة من ماجدة .. قبل أن تموت !

* * *

رسالة من ورقة واحدة ..

معظم وجهها الأول مكتوب بخط ماجدة الذى يعرفه الأب تمامًا .. كتبت تقول : أرجوكم .. لا تبحثوا عنى .. لأنه بمجرد وصول هذا الخطاب وربما قبل وصوله سيكون أمر الله قد تم فى .. وستكون حياتى انتهت .. أنا لم أفعل شيئًا يغضب الله .. أرجوكم عدم الزعل منى لأنى لا أستطيع العودة فقد حدد لى ربنا مصيرى .. فأنا لا أستطيع أن أراكم معذبين معى فى آخر أيامى .. لآن هذا كان سيزيد آلامى وكان سيجعلنى أحاول إنهاء حياتى بأى شكل .. لكى لا أرى حزنكم على .. أنا موجودة فى مكان أمين جدًا اختاره الله لى .. وعند وصول هذا الخطاب لن أكون فى أى مكان فى الدنيا .. سأكون عند ربنا .. وكل شىء تم بإرادته .. للمرة الأخيرة أرجوكم عدم البحث عنى لأنكم ستتعبون أنفسكم على الفاضى .. والمكان اللى بيموت فيه الإنسان ربنا هو اللى بيحدده ويختاره مش الإنسان .. ولى طلب أخير لو كنتم بتحبونى .. ما فيش حد يلبس أسود على .. أنا عارفة أنى أتعبتكم كثيرًا وحملتكم أكثر من اللازم .. لكن ده غصب عنى .. أرجوكم سامحونى جميعًا وادعوا لى فى كل صلاة ربنا يسامحنى ويغفر لى .. وأهم حاجة عندى أخواتى ما يزعلوش .. وبابا وماما يسامحونى .. التوقيع ماجدة .

أما بقية الرسالة فقد كانت مكتوبة بخط آخر لا يعرف أحد صاحبه .. وكانت موجهه للأب وتقول : لقد قابلنا ابنتكم ماجدة بالصدفة وعرفنا منها مشكلتها وما تعانى منه .. ونحن أحببناها جدًا وتبنينا مشكلتها ومشكلة مرضها .. نظرًا لأن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بكل شىء فى الدنيا .. وأعطانا أموالاً لا حد لها .. لكنه حرمنا من نعمة الخلف وله حكمة فى ذلك ولا اعتراض على أمره .. فاعتبرنا ماجدة هى ابنتنا .. وسهرنا على راحتها ولم تحتج إلى أى شىء .. ولقد قررت هى عمل عملية مع ما فيها من خطورة ونسبة ضئيلة لنجاحها .. ولكنها فضلت أن تعيش سليمة وتحضر لكم مرة أخرى .. أو لا تعيش لتعذبكم معها وتعذب نفسها وكان إيمانها بالله ومحبتها لكم قوية خصوصًا والدتها .. وهذا ما جعلها تقدم على ذلك .. وأوصتنا إذا حدث لها شىء أن نرسل لك هذا الخطاب .

وأضاف الشخص المجهول فى رسالته : فلما تم أمر الله فيها وأصبحت فى ذمة الله بعد العملية بيومين .. وتأثرًا لفراقها وإنفاذًا لوعدنا لها أرسلنا لكم هذا الخطاب .. الله سبحانه وتعالى يعطى لكم تعزية فيها ويصبر قلوبكم وقلوبنا .. ونحن من جهتنا لم نقصر معها فى أى شىء .. وكانت بمثابة ابنتنا ونحن لها أهل وأكثر .. ولم تشعر بأى معاناة فى الفترة التى قضتها معنا .. لقد كنا نود أن نقابلكم لكنها هى التى طلبت منا ألا يعرف أحد مكانها .. ولقد قمنا معها بالواجب بعد أن توفاها الله .. وتحملنا كثيرًا من المشاق فى ذلك .. لكن حبنا لها جعلنا نصنع كل ما طلبته منا ..

نرجو عدم البحث عنها لأنكم لن تجدوا لها مكانًا .. وهى خارج مصر .. ونحن كلفنا شخصًا مسافرًا إلى القاهرة بإرسال هذا الخطاب لكم .. وهى قد كتبت هذا الخطاب لكم قبل العملية بأيام .. والله سبحانه وتعالى يسكنها فسيح جناته ، ويلهمكم الصبر والسلوان فى مصابكم الأليم .. بدون توقيع .

* * *

طار عقل الرجل الطيب .. أو كاد !

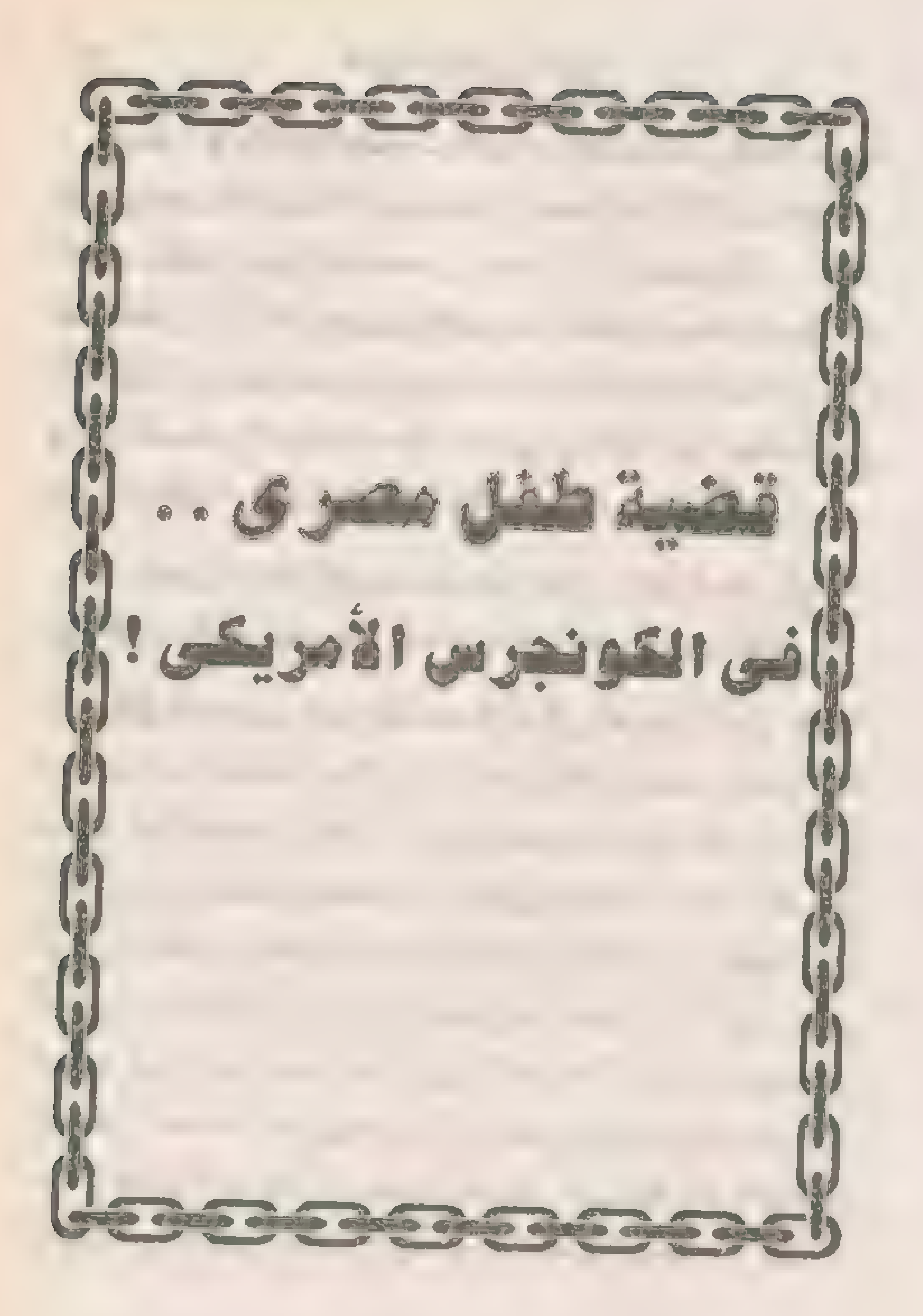
لقد سأل فى إدارة الجوازات فأكدوا له أنه لم يتم استخراج جواز سفر لابنته .. وأنها لم تغادر مصر أبدًا !

ودموعه على ماجدة لا تتوقف .. ولم يعد يملك سوى أن يوجه نداء للشخص المجهول صاحب الرسالة ..

ـ يقول له : لو كانت ابنتى عندك وتريد أن تتبناها .. كتر خيرك .. لكن من فضلك أبلغنا أنها على قيد الحياة من أجل أمها وأخواتها .. لو كانت قد توفيت فعلاً أيضًا كتر خيرك .. لكن أبلغنا بمكان قبرها حتى نقرأ الفاتحة على روحها ونفوض الله فى أمرها وأمرنا .

وما زال حارس الشاطئ ينتظر ..

والصوت العذب المعذب يرن فى أذنيه : أحكى له يا موج مطروح .. على القلب اللى بات مجروح !



قضية طفل مصرى .. فى الكونجرس الأمريكى !

القصة – أو بالأصح القضية – تفجرت ، عندما تلقى العميد محمد إبراهيم مدير الإنتربول المصرى نشرة رسمية من الإنتربول الدولى ، تطالب بالقبض على شاب مصرى يملك شركة للديكورات ، وقالت هذه النشرة أن الشاب متهم بخطف ابنه الصغير سيف من مطلقته الأمريكية المسلمة ميلانى رينيه ، وأنه بعد أن أصدرت محكمة ولاية تكساس الأمريكية حكمًا يقضى بأحقية الأم المطلقة فى حضانة طفلها ، تمكن والده من خطفه والهرب به إلى مصر !

بعد وصول نشرة الإنتربول بيومين اثنين .. كان قد تم التوصل إلى عنوان الأب المصرى واستدعاوه إلى مقر إنتربول القاهرة .

● قال الأب المصرى : نعم لقد سافرت إلى أمريكا للعمل هناك ، وتزوجت من المدعوة ميلانى التى أنجبت طفلى سيف ، ولكنى بعد مرور ثلاث سنوات حدثت بينى وبينها مشاكل عديدة ، وأنا لا أرغب فى الحديث عما فعلته زوجتى الأمريكية ، لكن يكفى أن أقول إن عاداتنا وتقاليدنا الشرقية جعلتنى أتأكد من أن الحياة بيننا أصبحت مستحيلة ، ولم أجد أمامى حلا سوى أن أعود بطفلى الوحيد إلى وطنى ، حتى ينشأ فى بيئة صالحة ، أقمت دعاوى فى المحاكم المصرية ضد زوجتى ، التى كانت بدورها قد حصلت على حكم بتطليقها من إحدى المحاكم الأمريكية ، بل إنها بعد هذا الحكم تزوجت من شخص آخر .. وبهذا يسقط حقها فى حضانة الولد .

وهذه شهادة استخرجتها من دار الإفتاء المصرية تؤكد أنه ما دامت الأم قد تزوجت من شخص آخر فإن حقها فى حضانة الصغير يسقط .

ورغم أن مدير الإنتربول المصرى كتب إلى الإنتربول الأمريكى تقريرًا بأقوال الأب المصرى .. إلا أن الأم الأمريكية لم تسكت ، وأقامت الدنيا .. ولم تقعدها !

* * *

أسرعت الأم الأمريكية تستغيث بعضو الكونجرس عن ولاية تكساس التى تعيش فيها نيك لامبسون .. وقالت له : طليقى المصرى خطف طفلى وذهب به إلى مصر ، وأنت نائب الولاية والمسئول عن مشاكل أهلها فى الكونجرس ، ولابد أن تتبنى هذه القضية .. إننى أم ومن حقى أن أرى طفلى .

ولم يكذب النائب لامبسون الخبر .. وذهب إلى مجلس النواب الأمريكى يعرض قضية الطفل سيف .

وفى نفس الوقت تحركت الأم الأمريكية فى كل مكان ، وأبلغت إنتربول الولايات المتحدة الأمريكية ، واشتكت إلى السفارة المصرية هناك .

والمثير أن مجلس النواب الأمريكى تبنى قضية الطفل سيف بل إنها نوقشت فى لجنة العلاقات الدولية بالكونجرس التى يرأسها جيلمان

فى المؤتمر ١٠٦ للكونجرس الأمريكى ، وأرسل جيلمان رسالة رسمية إلى السلطات المصرية موقعًا عليها من ١١ من نواب الكونجرس الأمريكى ، بتمكين الأم الأمريكية من رؤية طفلها المخطوف !

وعندما عرض مساعد الوزير للأمن العام تطورات القضية على حبيب العادلى وزير الداخلية ..

كانت تعليمات الوزير : ليس لنا علاقة بالقضايا المتبادلة بين الأم والأب سواء فى المحاكم المصرية أو الأمريكية ، لكن لأن المسألة إنسانية .. فيمكن محاولة الوصول إلى حل ودى بالتراضى بين الطرفين لتمكين الأم الأمريكية من رؤية الصغير .

وكان الحل .. إنشاء لجنة لتسوية المنازعات الناجمة عن الزواج المختلط بالطرق الودية ، وهى لجنة تعقد فى وزارة الداخلية ويرأسها مساعد وزير العدل للتعاون الدولى المستشار د. اسكندر غطاس ، ويشارك فيها مدير الإنتربول المصرى ومندوبون من وزارة الخارجية ودار الإفتاء ، ويحضرها بالطبع أطراف الزواج المختلط الذين بينهم مشاكل .. ومهمة هذه اللجنة هى حل الأمور الإنسانية ، دون التطرق إلى القضايا المنظورة فى المحاكم .

واجتمعت اللجنة لتناقش موضوع الطفل سيف .. وحضر الأب المصرى ، وقال : لا مانع عندى من أن تحضر مطلقتى لترى سيف ، لكن بشرط ألا يتم هذا اللقاء فى مكان عام ، وإنما فى بيتى فى أطراف ضاحية مصر الجديدة .

وعندما تم إبلاغ الأم الأمريكية بهذا الحل .. أسرعت بإرسال برقية تقول فيها : سوف أحضر إلى القاهرة على أول طائرة .. وسيكون معى النائب .. نيك لامبسون .

ولكن الأب المصرى عندما علم بخبر هذه البرقية .. قال بحزم : لقد وافقت على أن ترى مطلقتى الولد وفى بيتى ، ولكن مستحيل أن يحضر لامبسون هذا اللقاء ، هو حر إذا كان يريد الحضور إلى القاهرة .. لكنى لست ملزمًا أن أجعله يدخل بيتى .. صحيح هو نائب عندهم هناك فى أمريكا ، وليس فى مصر !

* * *

وحضرت الأم الأمريكية ميلانى بالفعل .. وذهبت لترى طفلها سيف فى بيت مطلقها المصرى الذى استقبلها بأدب وقام بإكرام ضيافتها .. وقضت الأم الأمريكية النهار كله مع ابنها الصغير ، وقام الأب بتصوير هذا اللقاء بكاميرا فيديو .. وأهداها الشريط عند انصرافها .

وخلال الأسبوع الذى قضته فى القاهرة ذهبت لتزور الصغير سيف ثلاث مرات .. ورغم أن الأب المصرى أكد لها أنه لن يتنازل عن القضايا التى أقامها ضدها فى المحاكم المصرية .. إلا أنه أثبت أنه مصرى شهم !

ففى ليلة سفرها عائدة إلى أمريكا .. وبينما كانت تستعد لإغلاق حقيبة ملابسها ، فوجئت بمكالمة من موظف الاستقبال بالفندق الذى كانت تقيم فيه على النيل .. وقال لها موظف الاستقبال : سيدتى .. هناك ضيوف فى انتظارك فى بهو الفندق !

وأسرعت ميلانى تهبط إلى البهو .. وتسمرت فى مكانها من الفرحة .. عندما شاهدت مطلقها المصرى يقف .. وفى يده ابنها الصغير .. وقال لها : لقد رأيت أن يكون آخر من يودعك فى القاهرة .: سيف !

* * *

الآن ..

تستطيع ميلانى أن ترفع سماعة التليفون من بيتها فى تكساس كلما اشتاقت لسماع صوت الصغير سيف وهى متأكدة أن والده عندما يرفع سماعة التليفون فى القاهرة لن يغلقها فى وجهها . وإنما سوف يستدعى سيف ليتحدث مع أمه .

حدث ذلك أكثر من مرة .. وسيحدث .. ليس مع سيف فقط .. وإنما بالنوايا الحسنة والتفاهم الودى .. مع أى صغير ، كل ذنبه أنه ابن الزواج المختلط !

* * *



انتحار سعاد حسنى .. أخرى !

محاضر الشرطة لاتهتم عادة سوى بالوقائع والأحداث المرتبطة مباشرة بموضوع البلاغ أو الحادث .. مجرد وقائع قليلة .. لا تحتل غير بضعة صفحات فى محضر الشرطة .

لكن الحقيقة أن وراء كل بلاغ قصة .. وخلف كل محضر حكاية .. قد لاتهم رجل الشرطة أو القانون .. لكنها فى الحقيقة دراما الحياة التى نعيشها كل يوم .. والتى لانقرؤها أبدًا فى الأخبار الصغيرة فى صفحات الحوادث بالجرائد اليومية .

هذه القصة هى حكاية بلاغ انتحار امرأة .

البلاغ تم تقديمه قبل أسابيع فى قسم شرطة قصر النيل .

* * *

فى تلك الأيام من بداية السبعينات كانت الحياة فى مصر تعج بخليط عجيب من الناس .. ناس من العهد الماضى .. عهد ما قبل الثورة .. بقايا الأرستقراطية المذعورة .. التى سنحت لها ظروف التحولات أن ترفع صوتها .. متمسكة بذكريات الماضى .. لكنها فى نفس الوقت تسعى للاستفادة من نوع آخر من الناس ، هؤلاء الذين جعلتهم نفس التحولات رجال أعمال ومال .. وبالطبع كانت فى مصر فى ذلك الوقت أنواع أخرى من الناس هى معظم السكان .. سكان هذا البيت الواسع الجميل .. لكن هؤلاء ليسوا موضوعنا ، ولا علاقة لهم بقصة هذا المحضر المأساوى .

فى ذلك الوقت .. حدثت زوبعة فى النادى الأرستقراطى العريق الذى يقع فى حى راق شهير .. عندما فوجئ الجالسون فى الشرفة المواجهة لحمام السباحة بغادة هيفاء ممشوقة القوام كما يقولون تدخل المكان مرتدية مايوه مثير .. أحمر يصرخ بالثورة ينكمش فى ألم شديد على جسد صاحبته ومحترقًا من حرارة الجسد الجميل .

البارع الجمال !

● أوه .. صاروخ !

ارتفعت صيحة أحدهم رغمًا عنه .

شخصت الأبصار كلها .. الجالسون والذين يسبحن إلى الحسناء الشابة ـ التى أعلن مجرد ظهورها أن على جميع جميلات النادى أن ينسحبن ـ وألا ترفع أحداهن صوتها بعد اليوم .. ولم تكن هذه مبالغة فهذا هو ما حدث تمامًا بعد ذلك .

هى أيام قليلة .. بعدها أصبحت هادية برهان ـ وهذا ليس اسم بطلة القضية الحقيقى ـ هى جميلة جميلات النادى .

كل شبان النادى تعلقوا بها .. وحاول كل منهم التقرب منها .. انتهاز أية فرصة ممكنة للحديث معها .. وحاول كثير ممن لديهم الجرأة والقدرة الفوز بقلبها .. لكن مسعى معظمهم باء بالفشل !

أما عن غيرة عضوات النادى فحدث ولا حرج إذ إن هادية برهان كانت فعلاً جميلة الجميلات .. ولم يكن ذلك معروفًا داخل النادى فقط بل كان كل سكان الحى الراقى يعرفون ذلك .. وما أكثر ما تابعتها العيون وهى تسير فى الشوارع الهادئة عصر كل يوم تتمخطر بالبنطلون الضيق جدًا .. وكأنه ليس قماشًا ، بل مجرد لون آخر للجسد الرهيب .. بلوزة شيك فاتحة الألوان .. وهى تمسك فى دلال بسلسلة تنتهى إلى رقبة كلب لولو ضنيل الجسم أبيض اللون ، لا يجرى بل يتمخطر مثل صاحبته الهيفاء !

* * *

أصبحت هادية برهان نجمة النادى بلا منازع .

وانتظم شباب النادى فى الحضور فى المواعيد المعروفة التى كانت هادية تأتى فيها .. أما النساء فقد شاركن دون أن يدرين فى صياغة أسطورة هادية برهان عندما بدأن ينسجن بالغيرة والحقد حكايات مبالغًا فيها .. ونميمة كاذبة . لكن الحقيقة أن مهمتهن كانت سهلة .. إذ إن تصرفات هادية نفسها كانت تغذى هذه الحكايات وتلك النميمة .

كانت قد ولدت وسط أسرة عريقة ولكن كثير من أفراد هذه الأسرة غادروا مصر مع من غادرها فى الخمسينات والستينات واستقروا فى بلدان أوروبا .. أما من بقى منهم فقد تمسك بمظاهر الأرستقراطية القديمة .. أقبلوا على الدنيا يتجرعونها حتى الثمالة .

وبالتأكيد كانت هادية برهان فتاة متحررة .

كان حضورها أية حفلة راقصة يعطى الحفل أهمية كبيرة .

وكانت تذهل الجميع فى كل مرة .. ليس فقط لجمالها الطاغى الذى يزداد يومًا بعد يوم .. وإنما بأناقتها الشديدة فى وقت كانت فيه ماركات الأزياء العالمية يتم تهريبها إلى شارع الشواربى .

فإن هادية برهان لم تكن ترضى أبدًا ألا أن تكون ملابسها من باريس وبقية بلدان الموضة .

فجمعت بين الأناقة والجمال ، فكثر معجبوها وتضاعفت حاسداتها !

وبالاختصار فقد أضحت هادية برهان نجمة المجتمع المخملى .. وكما كانت السندريلا سعاد حسنى فى ذلك الوقت حلم الشباب .. تمامًا أصبحت هادية برهان محطمة قلوب شباب ذلك المجتمع الأرستقراطى .. تظهر صورها فى حفلات هذا المجتمع فى المجلات اللبنانية .. وتزين هذه الصور صفحات المجتمع والحفلات فى تلك المجلات !

* * *

ومن بين كل عشر شائعات كانت تنطلق كل يوم فى أرجاء النادى الأرستقراطى .. أو بين نساء المجتمع الحريرى .. كان لابد أن تكون هادية برهان بطلة خمس أو ست شائعات !

كانوا يحكون عنها كل يوم آخر قصة حب فى حياتها .. ثم يتحدثون فى اليوم التالى عن حكايتها مع الوسيم المجهول الذى

راقصته فى حفلة أمس .. وفى نهاية اليوم يؤكدون فى تليفونات النميمة أنها سوف تتزوج مليونيرًا أمريكيًا وقع فى غرامها فى بهو أحد الفنادق الكبرى !

وكانت هناك دائمًا حولها حكايات حقيقية .. وحكايات مبالغ فيها !

لكن المؤكد أنها كانت فراشة جميلة عاشقة للحياة المرفهة .. والمؤكد أيضًا أنها كانت سعيدة بالسباحة فى بحر الإعجاب .. بأنها ليست فقط تحت الأضواء .. وإنما أنها الضوء نفسه ومن حولها ظلال !

الأكثر تأكيدًا أن هادية برهان عاشت حياتها بالطول والعرض .. كانت فوق جمالها تجيد الحديث بثلاث لغات أجنبية بطلاقة .. ربما لأنها تزوجت ذات مرة من أجنبى يعمل فى أحد الفنادق المصرية .. وذهبت معه إلى بلده وحصلت على الجنسية ثم انتهى هذا الزواج بعد عام أو قليل ، ثم تزوجت للمرة الثانية من أجنبى آخر وأيضًا حصلت على جنسيته .

كانت حياتها حفلات ورقص وسفر بين بلدان أوروبا الجميلة .. على قدر ما كانت الثروة تلقى تحت قدميها .. بقدر ما كانت هى تسرع بالتخلص من المال وكأنه جرثومة تريد الخلاص منها .. كانت أكثر من مسرفة كان يكفى أن تستيقظ ذات يوم وهى مكتئبة فى الصباح .. لكى تقرر حجز جناح فى أحد الفنادق الكبرى .. تعيش فيه شهرًا أو شهرين .. على سبيل التغيير !

هل كانت هادية برهان سعيدة بحياتها ؟

إن أحدًا لم يسأل عصفورًا عن مشاعره وهو يحلق بين السحاب .. ولم تكن هادية برهان تعيش الحياة .. بل عصير الحياة كانت مثل اسمهان تكره شيئين اثنين فى الحياة كأسًا فارغة ولابد أن يملؤها الخمر .. وكأسًا مترعة لا بد أن تحتسيها حتى آخر نقطة فيها !

إن أكثر ما يضايقها أن .. الليل قصير !

أن ساعات الليل الذى تضيئه بجمالها معدودة .. لا يلبث ضوء الفجر فى النهاية أن يداهمها .. ثم يظهر أول شعاع من الشمس .. فتنتهى الحفلة ، تعود هادية برهان إلى بيتها مع أول ضوء .. وثمة نظرة كسيرة فى عينيها الجميلتين .. عندما تدرك اللعبة الجميلة باربى التى تضىء لمن حولها حياتهم .. إنها بكل جمالها .. لا تستطيع أن تواجه .. ضوء الشمس !

* * *

الحياة أربعة فصول

وحياة أى إنسان مائة فصل

لكن فصول الطبيعة تمضى أقل بطئًا فى فصول حياة بنى آدم !

لا المال ولا المركز .. ولا الكلام هو الذى يقهر الإنسان بل الزمن .. هو وحده .. الزمن !

الزمن .. هو وحده قاهر البشر !

وكل عصر .. وهو الوقت الذى كانت تستيقظ فيه هادية برهان من نومها .. كان أول ما تفعله عندما تغادر فراشها هو أن تجلس أمام مرآتها .. تتطلع فى خوف إلى قسمات وجهها .. ويرتعد قلبها فزعًا عندما تلمح بداية تجعيدة قادمة أسفل العين .. أو عند نهاية الرقبة الطويلة الجميلة !

الزمن وحده .. كان أقوى من جمال هادية برهان !

مثل كل شىء فى هذه الدنيا .. يصعد ثم يسقط يرتفع ثم يهوى .. يشرق ثم يذبل .. كانت هادية برهان !

ربما لم يلاحظ أحد حولها ذلك على مرور السنوات لكنها كانت بعين قاسية لا ترحم ترصد نفسها .. لا ترحم نفسها .. وكما لأن لكل حفلة بداية ونهاية .. فقد أدركت أن نهاية حفلة حياتها على الأبواب .. كانت تزوجت من رجل أعمال عربى أنجبت منه طفلة جميلة تشبهها لا تتعدى الآن العاشرة من عمرها .. لكن السنوات حفرت فى باربى الجميلة علاماتها المؤلمة .. أدركت وهى لم تتجاوز بعد الخامسة والأربعين من عمرها أنها اختصرت حياتها فى هذه السنوات .. وأن النهاية نذير يدق على أبواب العمر ، وأنه لا الجمال .. ولا المال .. ولا شىء .. ولا الدنيا تدوم لأحد !

* * *

الأفراح .. لها مقدمات !

لكن المفاجآت وصدمات الحياة المؤلمة لا تدق الأجراس .. قبل أن نفتح لها أبواب حياتنا !

هذا ما حدث مع هادية برهان .

الزوج الأخير الذى علقت عليه الآمال ، والد طفلتها الوحيدة الجميلة .. رجل الأعمال العربى .. سرعان ما انقلبت عليه الأمور .. وحاصره أصحاب الديون .. الشيكات التى بلا رصيد .. وأحكام السجن الغيابى .. وذات يوم دق جرس الباب وفتحت الشغالة أو الدادة لتجد رجال الشرطة يدخلون ويسحبون معهم الزوج المديون إلى السجن .. هادية تراقب المشهد عبر باب حجرة نومها الموارب وهى ترتدى قميص نوم حريرى !

أما الفصل الأخير .. فقد كان شيئًا صعبًا !

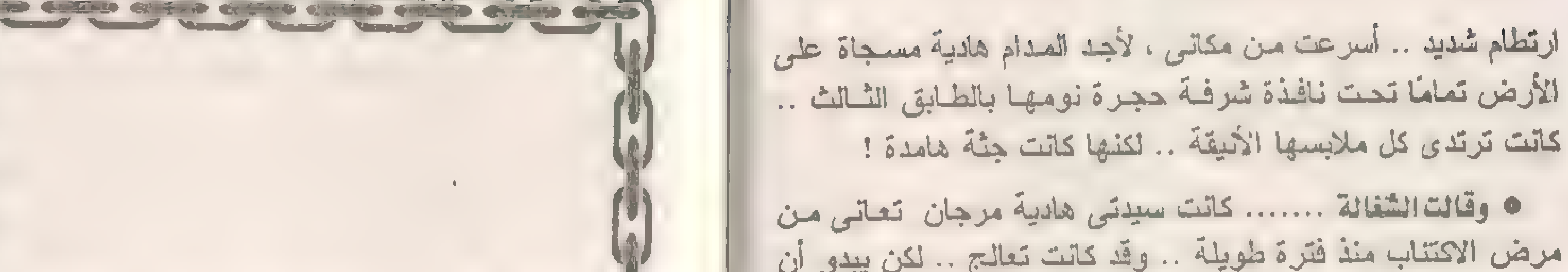
الدمية الجميلة باربى التى اسمها هادية برهان كبرت وراحت عليها وهى لم تزل فى منتصف الأربعينات من عمرها .. وانسحب معجبو زمان .. ولم يعد أحد منهم يرد على تليفونها .. بعد أن كانت تتهرب من تليفوناتهم !

وحتى الفنادق الكبيرة التى كانت تعرفها ، وتفخر بأنها أشهر زبوناتها .. أصبح مديرو هذه الفنادق يطلبون من موظفى الاستقبال .. أن تدفع حساب إقامتها يوميًا .. لأنه لم يعد هناك معجب سوف يسدد الفاتورة بتوقيعه الكريم !

* * *

فى محضر البوليس ..

● قال .... سائس جراج فى عمارة بالحى الهادئ فى السلاسة من صباح يوم ١ أبريل ، كنت جالسًا أمام العمارة عندما سمعت صوت



ارتطام شديد .. أسرعت من مكانى ، لأجد المدام هادية مسجاة على الأرض تمامًا تحت نافذة شرفة حجرة نومها بالطابق الثالث .. كانت ترتدى كل ملابسها الأنيقة .. لكنها كانت جثة هامدة !

● **وقالت الشغالة** .... كانت سيدتى هادية مرجان تعانى من مرض الاكتئاب منذ فترة طويلة .. وقد كانت تعالج .. لكن يبدو أن العلاج لم ينفعها كثيرًا .. لأنها حاولت قبل فترة الانتحار من الطابق الثالث عشر من فندق كبير يطل على النيل !

* * *

ماتت هادية برهان !

-سقطت أو أسقطت .. من بلكونة تمامًا مثل سعاد حسنى .

● عندما طلبت الاطلاع على محضر انتحارها قال لى رئيس النيابة : اشمعنى دى .. الناس بتنتحر كل يوم .. ودى واحدة وانتحرت .. مافيهاش حاجة !

* * *

أين طفلتها البريئة ؟

أين زوجها الهارب من البلاد بعد انتهاء فترة سجنه ؟

أين من يتعظ من الحكاية ؟

* * *

لا أعرف !

* * *

الغريب الذى فى حجرة ابنتك .. ليس لصًا !

بلاغ تليفونى من سكان عمارة بالهرم إلى قسم الشرطة : الحقونا سمعنا صوت ارتطام شديد وعندما هبطنا لنرى ما حدث .. وجدنا جثة شاب فى السابعة عشرة من عمره ملقاة وسط بركة من الدماء أسفل العمارة .. ونحن نعتقد أنه لص كان يحاول صعود مواسير العمارة ولكنه سقط ولقى حتفه !

يعرف رئيس مباحث الهرم كيف يحدد الكثير عن شخصية أى إنسان من النظرة الأولى ، إنها عين رجل المباحث المدرب الخبير لا ترى فقط .. وإنما تحلل ما تراه استنادًا للحصيلة الهائلة من الخبرة مضافًا إليها تلك الحاسة الغامضة التى تكاد تسبق العقل بالاستنتاج الذكى .

● مستحيل أن يكون لصًا !

همس ضابط المباحث لنفسه وهو يقف وسط الظلام بعد أن عاين جثة الشاب المجهول .. كانت يد القتيل تقبضان بشدة على جزء من حبل غسيل مقطوع .. وكان كل سكان العمارة وبوابها أيضًا قد أكدوا أن الشاب ليس من سكان العمارة ، وأنه بالتأكيد لص وهو الاحتمال الذى رفضه ضابط المباحث من اللحظة الأولى كانت ملامح الشاب القتيل وملابسه تنطق بأنه ابن ناس ولا توجد على يديه أو وجهه أو باقى أنحاء جسده تلك العلامات والآثار التى تحملها أجساد اللصوص وتعكس حياة العنف التى يعيشونها .

– إذا لم يكن لصًا .. فمن يكون إذن ؟

هكذا جاء سؤال رئيس مباحث الجيزة فى جهاز اللاسلكى عندما أبلغه ضابط مباحث الهرم بالحادث .. فى نفس الوقت طلب منى رئيس مباحث الهرم كشف غموض الحادث والإجابة عن ثلاثة أسئلة : من هو القتيل .. هل قتل .. أو صعد إلى أعلى العمارة ثم انتحر ؟!

قبل أن ينتصف الليل وبعد أن انتهى رجال المعمل الجنائى من تصوير الحادث كان ضابط المباحث عثر على المفتاح !

وكان مفتاح الحادث بالفعل مفتاحًا عاديًا !

فقد عثر ضابط المباحث فى جيب الجثة على مفتاح عادى .. ووسط دهشة سكان العمارة .. بدأ الضابط يحاول فتح شقق العمارة بهذا المفتاح .. ولم تفلح المحاولة فى كل الشقق .. ما عدا شقة واحدة فى الدور الثالث .. ما إن وضع الضابط المفتاح فى بابها .. حتى انفتح الباب بكل سهولة !

الشقة يسكنها طبيب معروف !

قال الطبيب أنه يعيش مع زوجته وابنته ذات الخمسة عشرة ربيعًا وأنه ليلة الحادث خرج لقضاء السهرة مع زوجته ثم عادا مبكرين وقبل أن يأوى أفراد الأسرة إلى النوم سمعوا صوت سقوط الشاب المجهول .. وهو نفس الصوت الذى سمعه كل سكان العمارة .. وأكد الطبيب وزوجته أنهما لا يعرفان شخصية هذا الشاب .

لمح الضابط ابنة الطبيب المراهقة تستمع إلى حواره مع والدها منزعجة.

ـ قبل أن يغادر الشقة سألها برفق : هل لديك أى فكرة عن هذا الحرامى المجهول ؟

أطرقت إلى الأرض قائلة بصوت خفيض : لا .. ما اعرفهوش .

ـ لكن الحاسة الغامضة كانت تصرخ فى عقل الضابط : وحياتك تعرفيه !

قبل أن يطلع الفجر كان الضابط قد حصل على النصف الآخر من القصة الذى بدد كل غموضها .. كان مهندسًا معروفًا أيضًا قد ذهب مع زوجته إلى قسم شرطة الهرم ليبلغا عن اختفاء ولدهما الشاب .

● قال المهندس : ابنى التلميذ بالثانوى خرج من البيت ولم يعد حتى الآن وأخشى أن يكون قد أصابه مكروه .

ـ ربما كان يقضى سهرته مع بعض الشباب .. وأنت تعرف شباب هذه الأيام ؟

نعم لكن ابنى ليس منهم .. إنه تلميذ متفوق وعلى خلق وشاب رياضى .

ـ هل لديك معلومات أخرى قد تفيد فى البحث عنه ؟

نعم .. قبل أن يخرج تلقى مكالمة تليفونية من إحدى زميلاته فى المدرسة .. بعد المكالمة ارتدى ملابسه بسرعة وخرج .

ـ ما اسمها وأين تسكن ؟

ما إن نطق المهندس الكبير باسم زميلة ابنه الغائب وعنوانها حتى انكشف اللغز .

كانت نفسها .. ابنة الطبيب المعروف .

ماذا حدث ؟

قال الضابط وهو يروى بعد ذلك ما حدث : أن ابنة الطبيب بمجرد خروج والديها للسهر اتصلت بزميلها الشاب للحضور وقضاء ساعات معها فى البيت .. كانت هناك صداقة قديمة بين الولد والبنت .. وكان يحضر إليها أثناء غياب والديها بدليل أنها أعطته نسخة من مفتاح الشقة وكان الاثنان يقضيان وقتهما فى مجرد الحديث أو سماع الموسيقى .. وليلة الحادث فوجئا بحضور الطبيب وزوجته مبكرين أسرعت الابنة المراهقة بإخفاء زميلها فى البلكونة على أمل أن تتمكن بعد أن ينام والدها ووالدتها من إخراجه من الشقة لكنه تسرع وحاول الهبوط من البلكونة بواسطة حبل الغسيل الذى انقطع فسقط ليلقى مصرعه فى الحال .

● كيف كان رد فعل الطبيب وزوجته عندما سمعا الحقيقة ؟

ـ أصيبا بحالة ذهول .. لأنهما كان يريان ابنتهما مجرد طفلة .. ويوم الحادث عادا وكانا قد اشتريا لها .. شيكولاتة .



● وماذا قالت البنت نفسها ؟

ـ هزت كتفيها بلامبالاة قائلة : هـو غبى لأنـه لـم ينتظر حتى أخرجه بعدما ينام بابا .. بصراحة (أى أم فرى سساد) أنـا زعلانـه خالص !

* * *

امرأة .. تقدت حتى دموع التماسيح !

البيوت أسرار لكنها فى محاكم الأحوال الشخصية تتحول إلى أخبار عندما يفرق شيطان البغض والكراهية بين الأزواج والزوجات .. تنفضح الأستار .. ويتراشق الأزواج والزوجات بالاتهامات .. وتحدث المفاجآت .

فى قضايا الأحوال الشخصية لا يوجد فائز أو منتصر حتى لو كسب أحد الأطراف القضية .. فإن من يدفع الثمن فى النهاية لا علاقة له بالقضية : دائمًا الضحية هم الأولاد .

* * *

هى : زوجة فى منتصف الأربعينات ، لكنها ما زالت تتمتع بنضارة وجمال ابنة الثلاثينات .

المهنة : ممرضة .

تقدمت من منصة قاضى محكمة مصر الجديدة للأحوال الشخصية وفى عينيها دموع نالت من مكياج وجهها الواضح .. وبدأت تروى حكايتها ، تزوجته عن حب منذ أكثر من ٢٠ سنة ، كنت لم أزل فتاة غريرة تؤمن بالحب وتصدق أن المشاعر وحدها كفيلة بإنجاح الزواج ، ورغم أنه كان موظفًا بسيطًا ولا أمل فى أن يترقى إلى مناصب أكبر .. إلا أننى وافقت على الزواج منه ، وارتضيت أن أعيش معه حياة بسيطة متقشفة .. كان طعم الفول فى فمى أحلى من الكباب ، والماء أشربه من القلة راضية سعيدة وكأنه من ثلاجة

وأنجبت له طفلتين كانتا قرة العين وعندما أحسست بأن أعباء الحياة زادت عليه ؛ اقترحت أن أعمل كممرضة لأساعده فوافق وهكذا مرت بنا الحياة ، وجرت السنون وكبرت الطفلتان وأصبحت كبراهما فى التاسعة عشرة من عمرها ، والثانية فى السابعة عشرة وكبر زوجى وزاد دخله لكنه للأسف تغير وأصبح إنسانًا آخر غير الذى أحببته وتزوجته ، بدأنا نتشاجر وأصبحت الحياة بيننا مستحيلة وانتهى الأمر بطلاقنا وغادر بيت الزوجية بلا رجعة وبدأت أسمع عنه أخبار لا تسر القلب وأنه تزوج واحدة ثم تزوج أخرى وشعرت بالكمد ليس لزواجه أكثر من مرة ، وإنما لأننى عرفت أن عمر عروسته فى كل مرة لم يكن يزيد عن عمر ابنتى الكبيرة ولم يكن يهمنى حتى ذلك لكنه ذات يوم حضر إلى البيت فى غيابى وقام بأخذ البنتين عنوة لتقيما معه رغم إرادتهما مسحت دموعها ثم قالت : سيدى القاضى .. إننى لا أطلب الكثير .. لا شىء سوى حضانة البنتين حتى لا تعيش مع هذا الرجل المزواج .

هو فى الخمسينات أو يزيد قليلاً .. فى عينيه أسى وعلى فوديه شعيرات بيضاء .

قبل أن يتقدم من المنصة ألقى على مطلقته نظرة رهيبة ثم قال سيدى القاضى لا تخدعنكم دموع التماسيح .

لن أكيل لها الاتهامات الباطلة كما فعلت معى .. ليس عندى من مبرر أطلب به حضانة ابنتى المراهقتين سوى أن أمهما تعمل فى

المستشفى فترتين متتاليتين من التاسعة صباحًا وحتى السابعة مساءً وتبقى الابنتان دون رعاية أو مراقبة فى هذه السن الحرجة واسألها يا سيدى القاضى إن كان لديها الجرأة أن تنكر ذلك .

لكن رئيس المحكمة لا يسأل الزوجة ولا يعيد سؤال الزوج .. ويطلب من الابنتين وكانت تجلسان فى الصف الأول الاقتراب من المنصة .

ويسألهما : مع من تريدان العيش مع والدتكما أو مع والدكما ؟

تلقى البنت الصغيرة بمفاجأة :

مع والدى بالطبع .

يسألها القاضى : لماذا ؟

ترد الابنة الكبيرة : هذا سر .

يأمر القاضى بإخلاء القاعة ويأمر بأن تتحول بقية الجلسة إلى جلسة سرية ويستمع فى هدوء لحديث الابنتين الذى جاء مثل دش ماء بارد سقط فوق رأس والدتهما .

قالت الابنة الكبيرة نعم نريد أن نعيش مع والدى ونحن نعرف أنه متزوج من اثنتين لكن ذلك أهون ، فالحقيقة التى أخفيناها طويلاً والتى عذبتنا كثيرًا أن علاقة عاطفية نشأت سرًا بين والدتنا وبين أحد الجيران .. الذى أصبح يتردد على البيت فى أى وقت ودون استئذان .

وتصور سيادة القاضى أى إحراج نعانيه من هذا الضيف غير المرغوب فيه ، والنتيجة أننا نفضل البقاء مع والدنا المتزوج على الحياة مع والدتنا العاشقة فى السر .

يقول رئيس المحكمة : فى قضايا الحضانة على المحكمة أن تقيم التوازن بين أحوال كل من الأب والأم وظروفه المعيشية على حدة بحيث تقضى بضم الأولاد طالما تجاوزوا أقصى سن لحضانة النساء إلى من تجد فى الإقامة لديه مصلحة ونفع للمحضون ، وقد ثبت الآن أن الأب رغم أنه تزوج أكثر من واحدة لكنه فى القليل إنما يستخدم حقًا شرعيًا منحه الله إياه ، وما نسبته الابنتان الآن لوالدتهما من أمور أخلاقية يقطع بأنها لا تصلح لحضانة الابنتين .

يصمت القاضى برهة ثم يلتفت للأم قائلاً لها : لا يسع المحكمة إلا أن توجه لك نداء بأن ترعى الله فى سلوكك حتى تنالى احترام ابنتيك وتقديرهما .

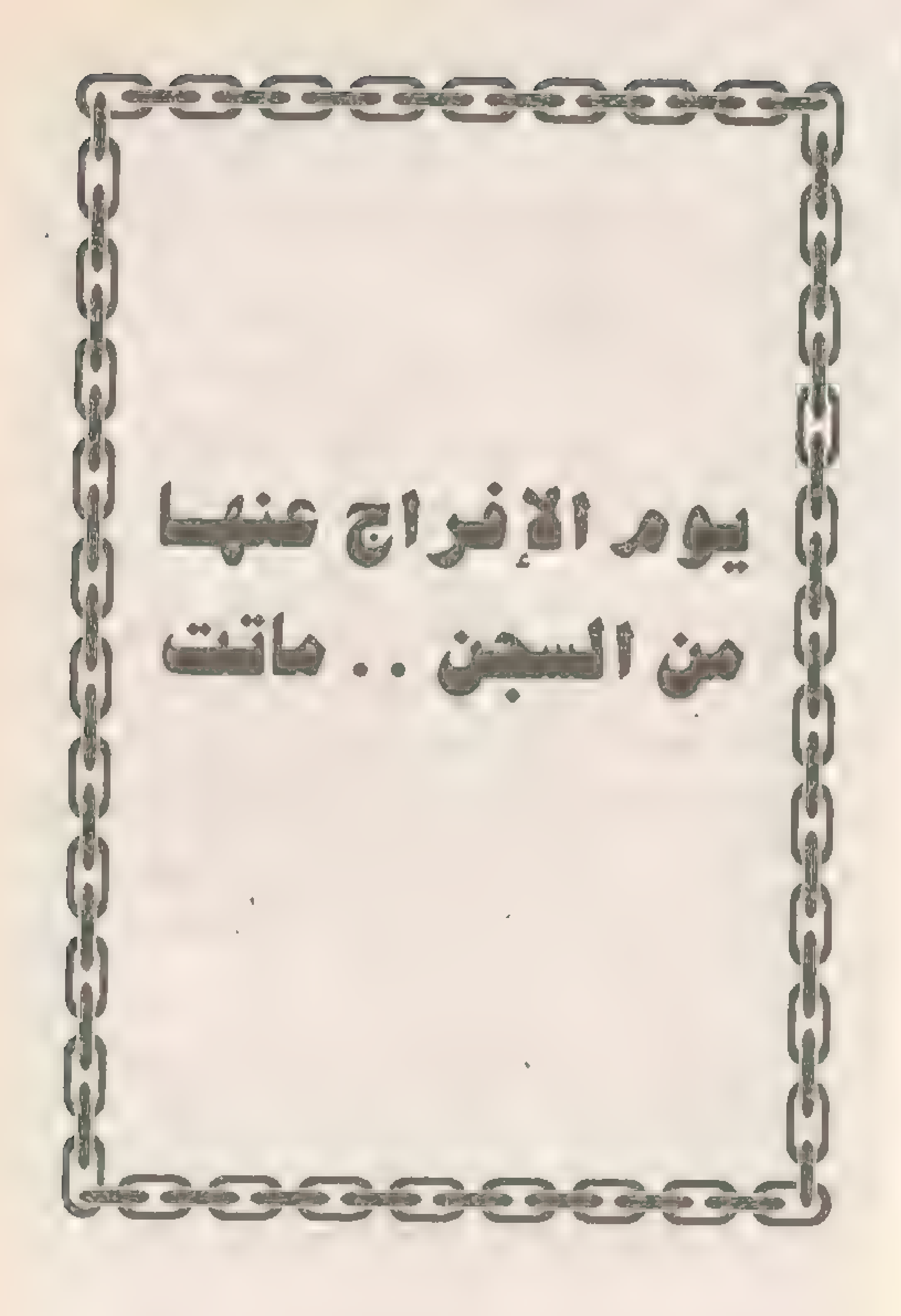
ثم يلتفت للأب قائلاً :

وتقضى المحكمة بالنزول على رغبة الابنتين والبقاء فى حضانة والدهما .

يخرج الأب من المحكمة فرحًا وفى يده اليمنى ابنته الكبرى وفى يده اليسرى ابنته الصغرى .

وفى آخر زحام المنصرفين من المحكمة .. كانت الأم تجرجر قدميها بصعوبة .. وتحاول الاختفاء وسط الزحام .. وهى تمسح هذه المرة دموعًا بالقطع مختلفة ، فقد جفت من عينيها دموع التماسيح .

* * *



الفارق بين الزنزانة والحرية باب .

والطريق إلى الباب طويل .. طويل ، الطريق إلى الباب مشت منه فهيمة ست عشرة سنة وسنة السجن بألف سنة وكل صباح من أيام الألف سنة حين كانت تستيقظ وتفتح عينيها .. فيصدمها سقف الزنزانة الرطب يختنق فى صدرها الحلم .

لكن شعاع الشمس الذى يتسلل عبر قضبان باب الزنزانة يحمل إليها ويا للعجب الأمل فى أن تقطع المشوار الذى سينتهى بها إلى الحرية .

تتكوم فى ركن الزنزانة على أوجاعها وذكرياتها ، وتحيى الأمل الواهن : « هانت يا بنت يا فهيمة فات الكثير وبقى القليل .. العقوبة مؤبد وما تبقى لن يكون أصعب مما مضى .. ياه لو دق أحدهم باب السجن حاملاً فى يديه ورقة الحرية ، ورقة الإفراج عن فهيمة ؟ »

فهيمة تحلم .. لكن أحلام السجناء .. سجينة مثلهم .. فمن يفرج عن الأحلام ؟

* * *

تذكر فهيمة جيدًا يومها الأول فى السجن حين دخلت وأغلق الحراس خلفها الباب الخشبى الضخم لسجن النساء بالقناطر .. سرت رجفة فى أوصالها .. رغم أن اليوم هو أحد أيام صيف ١٩٧٦ .. كانت قد قررت أن تلقى خلف ظهرها بكل ما فات من

فصول الرواية الحزينة قررت أن تنسى أنها قادمة من المحكمة ، وأن القاضى الذى كان يحاكمها فى قضية المخدرات التى اتهمت فيها قد نطق لتوه بالحكم الذى سيكون فاصلاً بين ما مضى من عمرها وما هو قادم .

حكم عليها بالمؤبد .. وها هى ذى قد مرت عليها دقيقة من عمر المؤبد .. فما أطول مشوارك يا فهيمة .. وهل سيكون فى العمر بقية ؟

* * *

سجن النساء .. لكنه سجن .

النوم بميعاد .. والاستيقاظ بميعاد .. وما بين نومها وصحيانها كان على فهيمة أن تواجه حياة السجن .. وسط مئات من السجينات قادهن الشيطان والحظ العاثر وقسوة الحياة إلى السجن ، وأول ما تعلمته فهيمة فى السجن أن على السجينة أن ترتدى قناع القسوة لتحمى نفسها من الأخريات .. أول يوم استيقظت ، وذهبت ببساطة إلى دورة المياه لكنها فوجئت بسجينة ضخمة الجثة تدفعها فى صدرها بعيدًا بشراسة .

« كل حاجة هنا بالأقدمية يا شاطرة .. وأنت بقالك يوم واحد فى السجن . »

ولم ترد ووقفت حيث ألقت بها اللكمة القوية .. ولم تفكر فى الدخول فى مشاجرة كانت تعلم مقدمًا أنها ستكون الخاسرة الوحيدة فيها .

فى ذلك اليوم تحدد مصير فهيمة داخل السجن .. أدركت أنها لن يمكنها أبدًا أن تلعب دور السجينة المشاغبة العنيفة .. وأن عليها أن تقضى كل أيام وسنوات عمرها فى السجن ذليلة .. مكسورة الجناح .

كيف عاشت ١٦ سنة فى السجن ؟

هى ليست تاجرة مخدرات محترفة وراءها من يرسل لها النقود والهدايا والطعام .. الذى يمكن أن تشترى به رضاء واحترام بقية السجينات .. هى مجرد امرأة غلبانة قضى أمرها .

آثرت السلامة وتجنبت المتاعب قدر إمكانها .. عاشت « نكرة » فى السجن لايزورها أحد من بقية السجينات .. فحتى الصداقة فى السجن لها ثمن .. الصداقة فى السجن بالمقايضة فماذا لديها لتقدمه وتحصل على صداقة بقية السجينات ؟

لكن كل ذلك تغير ذات صباح !

★ ★ ★

فتحت عينيها وحاولت النهوض فلم تقدر .

تكومت فى فراشها وألم شديد يمزق أحشاءها كتمت صراخها ، لأنها تعلم أنها حتى لو صرخت فلن يفكر أحد فى نجدتها ظلت طوال اليوم راقدة تتألم فى صمت لكنها عند الظهر فتحت عينيها فى دهشة عندما شعرت بمن تفتح باب الزنزانة ، وتحدق فيها بوجهها الغليظ الملامح .

● مالك يا بت !

ـ سألتها السجينة الضخمة ببرود .

● تعبانة .. سكاكين بتقطع فى بطنى .

ـ زادت دهشتها عندما لم ترد السجينة بكلمة واحدة .. رمقتها بنظرات فاحصة غريبة ثم انصرفت بعد أن أغلقت خلفها باب الزنزانة لكنها عادت بعد دقائق تحمل فى يدها إناء صغيرًا .. جلست بجوار فهيمة التى تعجبت رغم آلامها ، فجأة اختفت الشراسة من وجه السجينة المتوحشة تغيرت ملامح وجهها حتى نظراتها القاسية الباردة تلاشت .

وقالت بصوت حنون : « خدى هذه شوربة ساخنة بالليمون .. أعددتها لك بنفسى .. يمكن تستريحى بعد تناولها . »

لو كانت تعلم أن المرض سيغير حياتها داخل السجن .. لمرضت أول يوم وطأت فيه قدماها سجن النساء بالقناطر .. هل يمكن أن تخفى القسوة فى باطنها كل هذه الرحمة ؟

لم تكن السجينة ضخمة الجثة وحدها التى اقتربت منها وحاولت التخفيف عنها ، لشدة ذهولها لم تفكر فى الأسباب التى دفعت بقية السجينات إلى زيارتها فى زنزانتها . واحدة تعد لها الطعام وواحدة تغسل لها ملابسها ، وأخرى تحضر لها بعض الحلوى التى جاء بها أهلها فى زيارتها .. انفطر قلبها من التأثر وسقطت من عينها حبات الدموع امتنانًا لفضل السجينات اللاتى أحطنها بالرعاية والاهتمام كل ساعة من ساعات النهار لكنها حين زادت آلامها وبدأ صراخها

المكتوم يرتفع فى ليل السجن كان أول شىء فعلته فى الصباح السجينة الضخمة الجثة أن دقت باب مأمور السجن لتخبره بمرض فهيمة الذى زاد ، وتطلب منه أن يرسل طبيب السجن لفحصها .. وحين جاء الطبيب وفحصها ، وخرج من الزنزانة وجد أكثر من عشرين سجينة ينتظرن ونظراتهن كأنها أسئلة ملهوفة .

أطرق الطبيب إلى الأرض .. مضى سريعًا نحو مكتب مأمور السجن .

- قبل أن يقول بأسى للسجينات ، فهيمة عندها فشل كلوى .

* * *

حين وصل خبر مرض فهيمة إلى مدير منطقة سجون القناطر ترك كل ما فى يده .

الغريب أن حامل مفتاح السجن هو أكثر الناس رحمة بمن يعيشون داخل السجن .. فى الحال أصدر الضابط الأمر بنقل فهيمة إلى المستشفى فى سيارته الخاصة على أن تصحبها اثنتان من حارسات السجن .

تبرعت سجينة بجلابية بيضاء نظيفة لترتديها فهيمة .. وخلعت شبشبها ووضعته فى قدمى فهيمة بينما أسرعت السجينة ضخمة الجثة إلى زنزانتها وعادت بسرعة وهن ينقلن فهيمة إلى السيارة لتدس فى يديها مصحفًا صغيرًا .. انطلقت السيارة بفهيمة التى خف وزنها ونهش المرض جسدها وأغلق الحارس الباب الضخم وعادت كل سجينة إلى زنزانتها فى صمت .

- همست لنفسها بصوت مسموع :

يا رب بحق جاه النبى .. يا رب الغلابة .. خليك مع الغلبانة فهيمة .

* * *

أما رحمة الناس خارج السجن فكانت شيئًا آخر .

حين ذهبوا بفهيمة إلى معهد ناصر لعمل غسيل كلوى لها رفض المسئولون بالمعهد إجراء الغسيل إلا بعد دفع الثمن مائتين وخمسين جنيهًا ؟!! بالتمام والكمال وفهيمة لا تملك مائتين وخمسين مليمًا .

ولم يجد الضباط أمامهم سوى اللجوء إلى مستشفى الدمرداش الذى رحب مديره بفهيمة ، وأعلن استعداد المستشفى لعلاجها وخصص لها حجرة بمفردها .

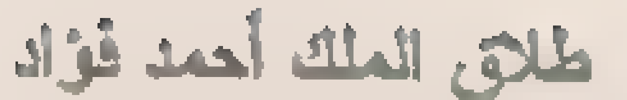
ومرت الأيام ورغم العلاج كانت حالة فهيمة تزداد سوءًا ويذهب مدير منطقة سجون القناطر إلى مدير مصلحة السجون .. ويعرض عليه أمر فهيمة .

يقول مدير المصلحة : اطلب من أطباء الإدارة الطبية أن يتصلوا بالطب الشرعى ، وأن يقوموا بإجراء فحص طبى للسجينة فهيمة .

يسأله الضابط : لماذا يا أفندم ؟

يرد مدير المصلحة : لاتخاذ إجراءات العفو الصحى عنها .

* * *



يوم الإفراج عن فهيمة .

كان الأطباء بعد أن فحصوها قد وافقوا على الإفراج الصحى عنها ، وكان من المقرر أن تصل ورقة الإفراج من مكتب النائب العام .. ذاع الخبر فى السجن أطلقت مسجونة زغرودة عنهن كلهن ، وليست عن فهيمة وحدها .

الوقت يمضى ببطء .. ورقة الإفراج فى طريقها إلى السجن .. فجأة يدق جرس التليفون فى مكتب مدير منطقة سجون القناطر بعد أن يرفع السماعة وتنتهى المكالمة يطلب من الحارس الذى يقف فى الخارج أن يغلق عليه الباب ، وألا يسمح لأحد بالدخول لدقائق ترى ماذا كان يفعل وهل يمكن أن يبكى الرجل الذى يحمل مفتاح السجن ؟

لا أعرف ..

لا أعرف سوى أن المتحدث فى المكالمة التليفونية كان قد أبلغه إشارة تليفونية من مستشفى الدمرداش .

للأسف يا افندم السجينة فهيمة تعيش انت .

* * *

تاجر المخدرات .. الذى مات على الورق !

الهروب من القانون أنواع .. بعض المجرمين يهربون من رجال الشرطة .. ويختفون فى أماكن نائية بعيدة .

بعضهم يجرى عمليات تجميل ليغير ملامح وجهه .. والبعض يغير سكنه واسمه ووظيفته .

وهذه حكاية واحد أراد أن يهرب من عقوبة السجن بأغرب وسيلة : مات !

مات .. على الورق فقط !

كيف ؟

هذه هى الحكاية ..

حدث ذلك منذ ١٦سنة حين خرج ضابط المباحث الشاب عماد راشد مع بعض رجاله للقبض على أحد تجار المخدارت ، لم يكن تاجرًا عاديًا .. فهو ابن أحد مشاهير تجار المخدرات فى صحراء سيناء ومنطقة الإسماعيلية .

كان يعمل والده فى تهريب المخدرات على ظهور الجمال ..

وكبر الابن ودخل الجامعة لكنه لم ينس تجارة والده بعد أن تسلم منه مقاليد هذه التجارة ، لكنه آثر أن يعيش فى القاهرة حيث يدير منها تجارته .

وقام بعمل ستار يغطى خلفه تجارته غير المشروعة ، فأقام محلاً كبيرًا لبيع السيارات بحى مصر الجديدة كما بدأ يعمل ظاهريًا فى تجارة العقارات والأراضى الزراعية .

صعد الضابط إلى شقته وطرق الباب .

● سأله : من ؟

ـ قال الضابط : سيد إدريس .

وفى الحال كان تاجر المخدرات قد فتح الباب .. ذلك أن الضابط ذكر له اسم أحد تجار المخدرات الذين يتعاملون معه .. وعندما قام بتفتيشه عثر فى ملابسه على عينات من الحشيش وكمية من طلقات الرصاص .

كما وجد الضابط كشكولاً دون به تاجر المخدرات أسماء تجار المخدرات الذين يتعاملون معه وحساباتهم .. وفى نفس الوقت كان بقية الضباط قد عثروا على كمية كبيرة من الحشيش أخفاها أعوان تاجر المخدرات فى حفرة خاصة خلف مستشفى حميات إمبابة .

وعلمت أن سقوط هذا الرجل بالذات لم يكن شيئًا عاديًا فهو إنسان ذكى وحذر للغاية وأحيل إلى النيابة التى قررت حبسه على ذمة التحقيق .. ثم أخلى سبيله بعد ذلك على ذمة القضية .

ومرت شهور .. وصدر حكم بحبسه .. لكن حدثت مفاجأة لم تكن تخطر على بال أحد !

فجأة وبقدرة قادر ظهرت فى ملف تاجر المخدرات شهادة وفاة تؤكد أنه توفى إلى رحمة الله !

وأسقط فى يد رجال الأمن .. لكنهم فى النهاية اقتنعوا بأن عدالة السماء أسرع .. وبأن تاجر المخدرات لابد أنه يحاسب الآن على جرائمه الحساب العظيم !

وانتشر خبر وفاة تاجر المخدرات !

وإذا سألت أحدًا من سكان منطقة أبو صوير بالإسماعيلية عنه يهزّ رأسه أسفًا .

ويقول مترحمًا عليه : الآن لاتجوز عليه سوى الرحمة !

وكلما ذكر رجال المباحث اسمه عرضا أمام تجار المخدرات ..

كانوا يقولون بثقة : الله يرحمه .. مات فى عز شبابه !

ضابط واحد كان قلبه يقول له عكس ذلك !

أحد ضباط إدارة مكافحة المخدرات غير مقتنع بأن تاجر المخدرات قد مات ، كانت مصادره السرية تنقل له أخبار بعض صفقات المخدرات ، وكلما مضى وقت تأكد العقيد من أن الرأس المدبر لهذه الصفقة هو نفسه المرحوم ..

فهذا هو أسلوبه وطريقته التى يتميز بها دون كل تجار المخدرات !

لكن ظنون الضابط سرعان ما تحولت إلى شكوك قوية خاصة ، وأن شبحه كان يظهر على فترات مختلفة فى معرض السيارات وفى كافتيريا كان يمتلكها فى حى مدينة نصر ..

لكن كان هناك شىء آخر أكد كل الشكوك أن المرحوم قد تزوج مضيفة ، ويقيم معها فى عمارته بمصر الجديدة !

فهل يتزوج الموتى ؟

جمع مدير إدارة مكافحة المخدرات كبار ضباطه واتفق معهم على ضرورة التأكد من وجود تاجر المخدرات على قيد الحياة .. والتأكد أيضًا من مسألة صحة شهادة الوفاة ..

وما هى إلا أيام حتى بدأت المفاجآت تتوالى : إنه فعلاً على قيد الحياة ولم يمت ، والعمارة التى يقيم فيها مع زوجته المضيفة كتبها باسمها وفى الحال تم استئذان النيابة لمداهمة البيت .. وكانت صدمة مذهلة لتاجر المخدرات عندما وجد ضباط المكافحة يلقون القبض عليه .

وتبين أن المرحوم زور شهادة وفاته ! وبدلاً من أن يدخل السجن فى قضية المخدرات فقط صدر حكم بسجنه ٥ سنوات أيضًا فى تهمة تزوير شهادة الوفاة ، وكشفت عملية القبض عليه أنه أصبح مليونيرًا .

وبدأت تحريات الضباط تكشف عن حجم الثروة الطائلة التى جناها تاجر المخدرات من تجارته طوال السنوات الماضية ..

فقد تبين أنه يمتلك شركة لتصدير واستيراد السيارات وفرعًا لهذه الشركة .. ويمتلك عمارة من سبعة طوابق أقام أسفلها ورشة شاسعة لتجديد السيارات ، وعمارة من ٦ طوابق وشركة أخرى لتجديد السيارات وكافتيريا بمدينة نصر ..

لمّا الأراضى فقد تبين أنه يمتلك ٢٧ فدانًا بالإسماعيلية و ٥٠ فدانًا وضع يد و ٣٠ فدانًا أراضى زراعية وحدائق مميزة و ٩١ فدانًا بنفس المنطقة ..

وأمّا السيارات فمنها طراز بى - إم - دبليو والثانية بيجو والثالثة فيات وقد تم تقدير قيمة هذه الثروة بحوالى ٨ ملايين جنيه .

هكذا تم عمل صورة فى ملف تاجر المخدرات الشهير وملفًا لمفردات ثروته والمستندات التى تؤكد ملكيته لهذه الثروة وأحيل إلى جهاز المدعى الاشتراكى وفوجئ العمال الذين يعملون فى شركات تاجر المخدرات بلجان التحفظ تضع يدها على كافة مستندات هذه الشركات والغريب أن معظم هؤلاء العمال لم يكن لديهم علم بأن صاحب الشركات ليس إلا تاجر مخدرات بل أنهم لم يكونوا يعلمون أنه يقضى عقوبته حاليًا فى السجن .

فقد قال أحد العمال لأحد الضباط : ألا تنتظرون عودة صاحب الشركة ؟

وسأله الضابط ومتى يعود ومن أين ؟

قال العامل : اللّه يعلم متى يعود .. لكننا جميعًا نعلم أنه سافر إلى أستراليا ..

نعم أستراليا .. سجن القناطر الخيرية !

التى لن يكون الميت حى .. أخر ضيوفها .. فالسجن فى انتظار شخصية أخرى من أساطين مهربى المخدرات ومن يعلم .. وربما تكون من نفس بلدة وأقارب الميت الحى .

* * *



قاضى الأحوال الشخصية : نادى على صاحب القضية

الحاجب : السيدة (......) حرم الدكتور (......)

من بين صفوف الحاضرين فى قاعة المحكمة تنهض امرأة ملفوفة القوام .. رشيقة مثل الفراشة .. واثقة مثل شعاع يخترق أى شىء أمامه !

كلامها

سيدى القاضى .. لم أكن أتصور يومًا أن ينتهى بى الحال إلى الوقوف فى ساحات المحاكم .. لأقاضى أقرب الناس : زوجى العزيز .. لكنه بإصراره وتمسكه بعادة سخيفة لا معنى لها .

ثم بتجاهله التام لشكواى .. أوقفنى هذا الموقف .. وجعلنى ألجأ إلى عدالة القضاء طالبة الحكم لى بنفقة من الرجل الذى يفترض أمام الله والناس أنه الوحيد الملزم بالإنفاق علىّ .. تزوجته يا سيدى منذ خمس سنوات وأنا أتخيل بأننى ارتبطت بالرجل المناسب .

فهو هادئ مثل جبل ثلج .. وعاقل أفضل ما يكون العقل والتعقل .. وفى نفس الوقت رأيت فيه الإنسان الدمث المهذب .. فلم ينطق لسانه يومًا بكلمة غير لائقة .. ومن ناحية أخرى رأيت فيه ما تحلم أى فتاة بوجوده فى شريك عمرها هذه الأيام .. وهو المستقبل المضمون الآمن .. فهو طبيب وجراح وفى نفس الوقت شريك فى مستشفى خاص ..

وهذا وحده كفيل بألا يبيت فى نفس من تشاركه حياته أى خوف أو على الأقل من الناحية المادية .. وكنت أبتسم وأنا أتذكر فى نفسى تلك الدعاية التى يتداولها طلبة كليات الطب .. من أن شهادة البكالوريوس تعنى لكل منهم حرف (ع) ثلاث مرات .. فهى كفيلة لأى طبيب بالحصول على عيادة ـ وعروسة ـ وعزبة .

تتحول ابتسامتها من السخرية إلى المرارة .. ثم تمضى لتكمل كلامها قائلة : لكنى للأسف الشديد اكتشفت منذ الشهور الأولى لزواجى أن زوجى الطبيب مصاب بمرض سخيف .. ألا وهو البخل الشديد .. وفى بداية الأمر كنت أظنه حرصًا .. لكن الأيام كشفت لى عن استفحال هذا المرض .. فهو لا يكتفى بالبخل على نفسه ..

وإنما أيضًا يريدنى أن أعيش معه حالة التقتير طوال حياتنا .. وعبثًا حاولت علاجه لكنه كان يرفض بعناد .

حتى أصبح صبرى مستحيلاً عندما وصل الأمر إلى أنه حرمنى من تناول اللحوم !

وإذا سألته عن السبب كان يتحدث بلغة الأطباء ويقول لى بجدية :

ألا تعلمين أن الدراسات العلمية الحديثة تؤكد أن تناول اللحوم ضار بالإنسان .

لكن ما حدث يا سيدى القاضى أننى اكتشفت أن عدم تناول اللحوم هو الذى يضر بالإنسان ، فقد أصبت بالنحافة وتكالبت على الأمراض .. فإذا أنا طوال اليوم جائعة من ناحية ومهمومة من الناحية الأخرى .

وكأننى زوجة متسول ولست زوجة طبيب معروف .. وصدقنى ياسيدى لو كان فقيرًا لتحملته لكنى أعلم أن دخله يصل الآلاف شهريًا .. وعندى شاهدان يؤكدان ذلك .. ولا فرصة للتشكيك فى شهادتيهما .. فهما من مرضى زوجى وسوف تؤكد أقوالهما صدق ما أقول .

كلام الشاهد الأول :

● سيدى القاضى .. أنا موظف غلبان وقد شاء قدرى أن أصاب بالتهاب اللوزتين ، وذهبت إلى عيادة زوج هذه السيدة وبعد أن فحصنى أكد لى خطورة حالتى ، وأنه يجب أن يجرى لى عملية جراحية فى نفس اليوم لاستئصال اللوز .. وقد استأصلها بالفعل ولم أشعر بأية آلام سوى الآلام الشديدة التى هاجمتنى لحظة سداد الفاتورة .. وعندما فوجئت به يطالبنى بمبلغ خمسمائة جنيه أتعاب يده .. ولم أستطع الاعتراض .. ودفعت المبلغ وأمرى لله ومنه لله !

كلام الشاهد الثانى :

● أما أنا ياسيدى القاضى فالفلوس لم توجعنى ، ولم أعترض حين ذهبت للدكتور حرم هذه السيدة المصونة وطالبنى بمبلغ ٣٥٠ جنيهًا ثمنًا لعملية جراحية ليريحنى من آلام الفتق فأعطيته المبلغ وأجرى العملية الجراحية .. لكنها أبدًا لم تكن صفقة عادلة .. فقد عاودتنى الآلام الرهيبة وفشلت العملية .. وكلما صرخت من شدة ألمى وقلت آه تذكرت الـ ٣٥٠ جنيه التى راحت فى الهواء فأقول آه مرة أخرى !

● **القاضى :** نادى على الزوج .

● **الحاجب :** المدعى عليه الدكتور (....) .

ويتقدم من بين الصفوف رجل فى الأربعينات يسير ببطء ويرتدى بدلة مكرمشة ، وقد حال لونها الأصلى حتى لم يعد يعرف لها لون .

كرافتة تظهر عليها بوضوح أكثر من بقعة .. وكأنها حبل وليست ربطة عنق .

● **ويقول للقاضى :** نعم ؟

● **يسأله القاضى بدهشة :** نعم إيه .. أنت من ؟

● **يرد بعصبية :** أنا الزوج .. أنا الدكتور (....) .

● **سأله القاضى باستغراب أنت الدكتور (...) معقول ؟**

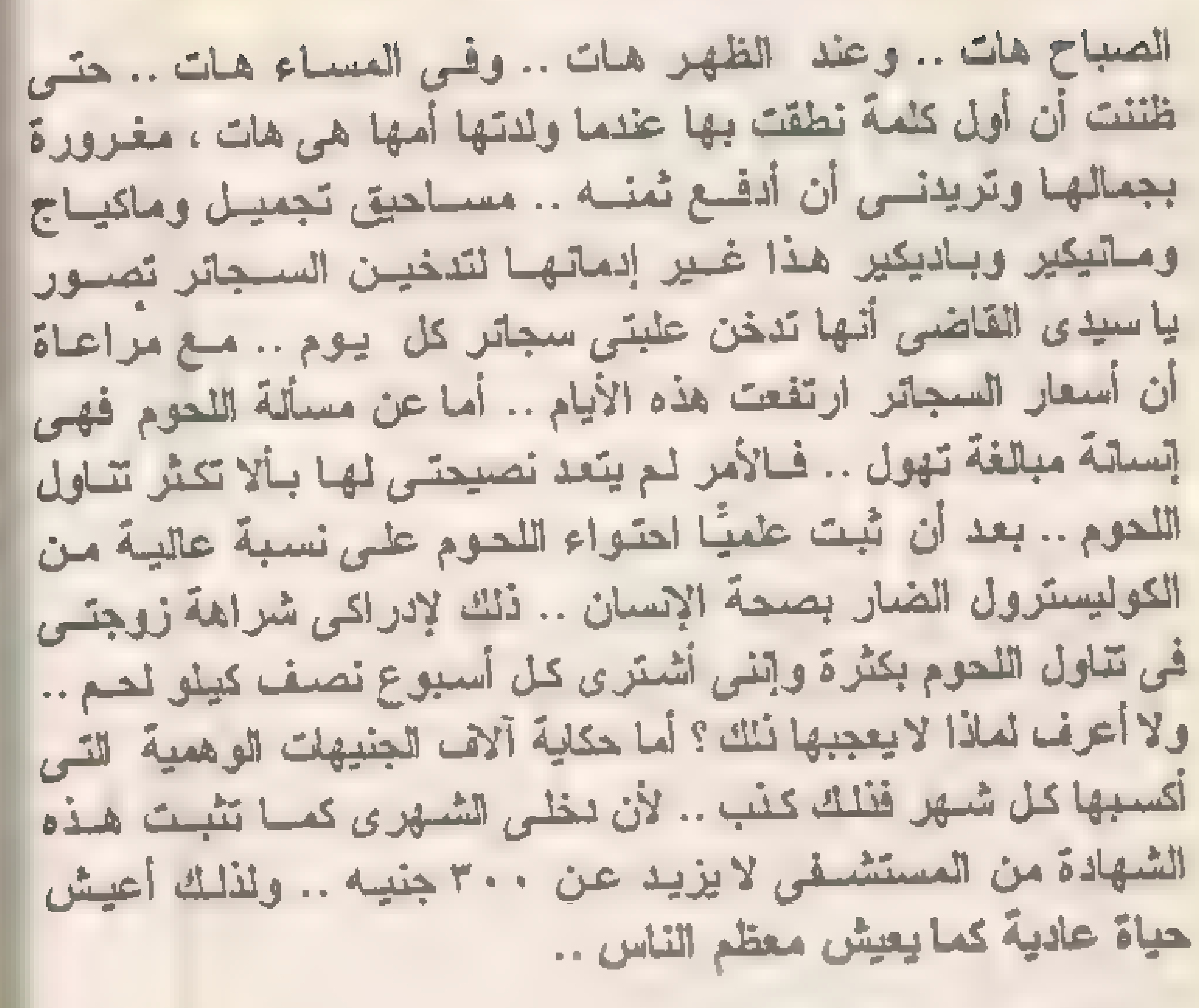
● **يقول الزوج :** نعم هو أنا .

● **يقول له القاضى متشككًا :** إذا كان معك بطاقة ، شخصية .. أوقفنى إياها !

وبالفعل يخرج الرجل بطاقته الشخصية ، ويقدمها للقاضى الذى يهز رأسه عجبًا بعد أن يتأكد من البطاقة .. إن الرجل هو نفسه الطبيب المعروف .. ويطلب منه أن يدلى بأقواله .

كلام الزوج

قال الدكتور : والله ياسيادة القاضى خيرًا تعمل شرًا تلقى .. انظر إلى زوجتى الجميلة هذه ، وهى تتهمنى بالبخل والشح كذبًا وبهتانًا .. بينما الحقيقة أنها مثلها مثل أى امرأة مبذرة مسرفة .. لو طالت مال قارون لصرفته وضيعته ، وبات قارون محسورًا مهمومًا على الحديدة .. إنها لا هم لها فى الحياة سوى مطالبتى بالنقود .. فى



الصباح هات .. وعند الظهر هات .. وفى المساء هات .. حتى ظننت أن أول كلمة نطقت بها عندما ولدتها أمها هى هات ، مغرورة بجمالها وتريدنى أن أدفع ثمنه .. مساحيق تجميل وماكياج ومانيكير وباديكير هذا غير إدمانها لتدخين السجائر تصور يا سيدى القاضى أنها تدخن علبتى سجائر كل يوم .. مع مراعاة أن أسعار السجائر ارتفعت هذه الأيام .. أما عن مسألة اللحوم فهى إنسانة مبالغة تهول .. فالأمر لم يتعد نصيحتى لها بألا تكثر تناول اللحوم .. بعد أن ثبت علميًا احتواء اللحوم على نسبة عالية من الكوليسترول الضار بصحة الإنسان .. ذلك لإدراكى شراهة زوجتى فى تناول اللحوم بكثرة وإننى أشترى كل أسبوع نصف كيلو لحم .. ولا أعرف لماذا لا يعجبها ذلك ؟ أما حكاية آلاف الجنيهات الوهمية التى أكسبها كل شهر فذلك كذب .. لأن دخلى الشهرى كما تثبت هذه الشهادة من المستشفى لا يزيد عن ٣٠٠ جنيه .. ولذلك أعيش حياة عادية كما يعيش معظم الناس ..

● القاضى : وكلام الشاهدين .

● الدكتور : إنهما من المرضى .. حد يصدق مريض ؟!

● يقول رئيس محكمة مصر الجديدة : أمام عجز الزوج عن نفى ما أثبتته الزوجة بشأن يساره .. وعدم إحضاره شهودًا يؤكدون أقواله .. تقضى المحكمة بأحقية الزوجة فى النفقة وإلزامه بأن يدفع لها النفقة بأنواعها الثلاثة ٦٠٠ جنيه كل شهر .. وتأمر المحكمة الزوج بأداء النفقة فى مواعيدها وتحذره من عدم التنفيذ .

* * *

أمى .. انتحرت بسبب الزواج الثانى

قد تكون ماتت كافرة !

قد يكون عقلها صغيرًا .. وقلبها أصغر .. لأنها فكرت فى نفسها ولم تفكر فى ابنها الوحيد !

قد لاتكون الأولى .. ولا الأخيرة !

لكن من المؤكد أنها كانت إنسانة .. لها أحاسيس ومشاعر .. زوجة وأم وربة بيت .. راحت ضحية مأساة اسمها الزواج الثانى !

* * *

لم يكن هناك شىء فى البيت الصغير الهادئ يوحى بأن ثمة بركانًا يغلى تحت السطح .. فى شقه بالدور الرابع بإحدى العمارات بالعجوزة .. كانت الأم الشابة ذات الثلاثة وثلاثين عامًا منهمكة فى كى الملابس .. وإلى جوارها طفلها الوحيد التلميذ بالابتدائى الذى لا يزيد عمره على ١١ سنة يستذكر دروسه .

فجأة توقفت عندما سمعت المفتاح يدور فى الباب .. أخيرًا عاد زوجها ، وكان قد قضى الليلة السابقة خارج البيت .. وزفرت الزوجة الشابة فى أسى وهى تستعد للقاء زوجها .. الذى كانت طوال الشهور الماضية قد توترت علاقتها به بسبب غيابه وتأخره

المستمر عن البيت .. وها هو قد بدأ فى الفترة الأخيرة يبيت الليالى بعيدًا عنها وعن طفله .

دخل الزوج بهدوء وثقة .. ألقى التحية عليها فلم ترد ..

لكنها بعد برهة قالت له بسخرية حمدًا للّه على السلامة يا بيه .

حاول أنه يتجاهل رنة السخرية وأن يتهرب من مشادة أكيدة .

ـ قال لها ممكن تجهزى لى أى أكل لأنى تعبان ؟

• قالت له فى حدة : ما فيش عندى أكل .. روح كل عند الهانم اللى كنت عندها .

ـ صرخ فيها : بلاش قلة أدب .

جن جنونها من رده وبحركة عصبية ألقت بالمكواة التى كانت تحملها نحوه ، فاندفع نحوها وهوى على وجهها بصفعة .

• قالت له بهستيريا : خلاص أنا موش عايزاك : اتفضل امشى من هنا .. وخد معاك هدومك .

نظر إلى حيث أشارت وهى تتكلم فوجدها بالفعل قد ملأت إحدى الحقائب بملابسه .

تطاير شرر جنون فى البيت الصغير ..

ـ وارتفع صوته يهددها : أنا راجل ومن حقى أتجوز واحدة واتنين .

وتسمرت فى مكانها وكأنها تستعد لسماع الخبر الذى كانت فى أعماقها تخشاه وتتوقعه .

ـ قال لها : ولعلمك أنا فعلاً تزوجت واحدة تانية من ٧ شهور .

★ ★ ★

ما حدث بعد ذلك كان الجنون بعينه :

جعله اعترافه بالسر الذى كان يخفيه عنها يشعر بالقوة .. واستمر قائلاً : البسى هدومك وتعالى نروح للمأذون أطلقك إذا كنت عايزه .

● رددت الكلمة غير مصدقة : تطلقنى .. تطلقنى .

ولمعت عيناها بنظرة غريبة .. نظرة حيوان جريح تلقى طعنة فى مقتل .

● وقالت له اسمع قبل ما تطلقنى .. تأكد إنى حاجيب لك مصيبة وحا أحبسك .

وكأنه زهق من الحوار الذى كان مثل تبادل إطلاق الرصاص .. لم يرد عليها واستدار خارجًا من الغرفة بل ومن الشقة كلها .. لكنه ما كاد يخطو أولى درجات السلم حتى استدار عائدًا فى فزع .

● كان طفله الوحيد يصرخ ماما .. ماما !

★ ★ ★

المشهد الأخير الفظيع رواه الطفل البرىء المسكين لوكيل أول نيابة العجوزة .

ـ قال الطفل : أول ما بابا خرج من الشقة .. لقيت ماما جريت على البلكونة وحاولت ترمى نفسها .

● سأله وكيل أول النيابة : عملت إيه ساعتها .

ـ الطفل : جريت وراها .. كانت فعلاً رمت نفسها .. مسكت طرف الفستان اللى كانت لابساه .. لكن جسمها كان تقيلاً .. ما قدرتش أحوشها .. ووقعت من رابع دور ..

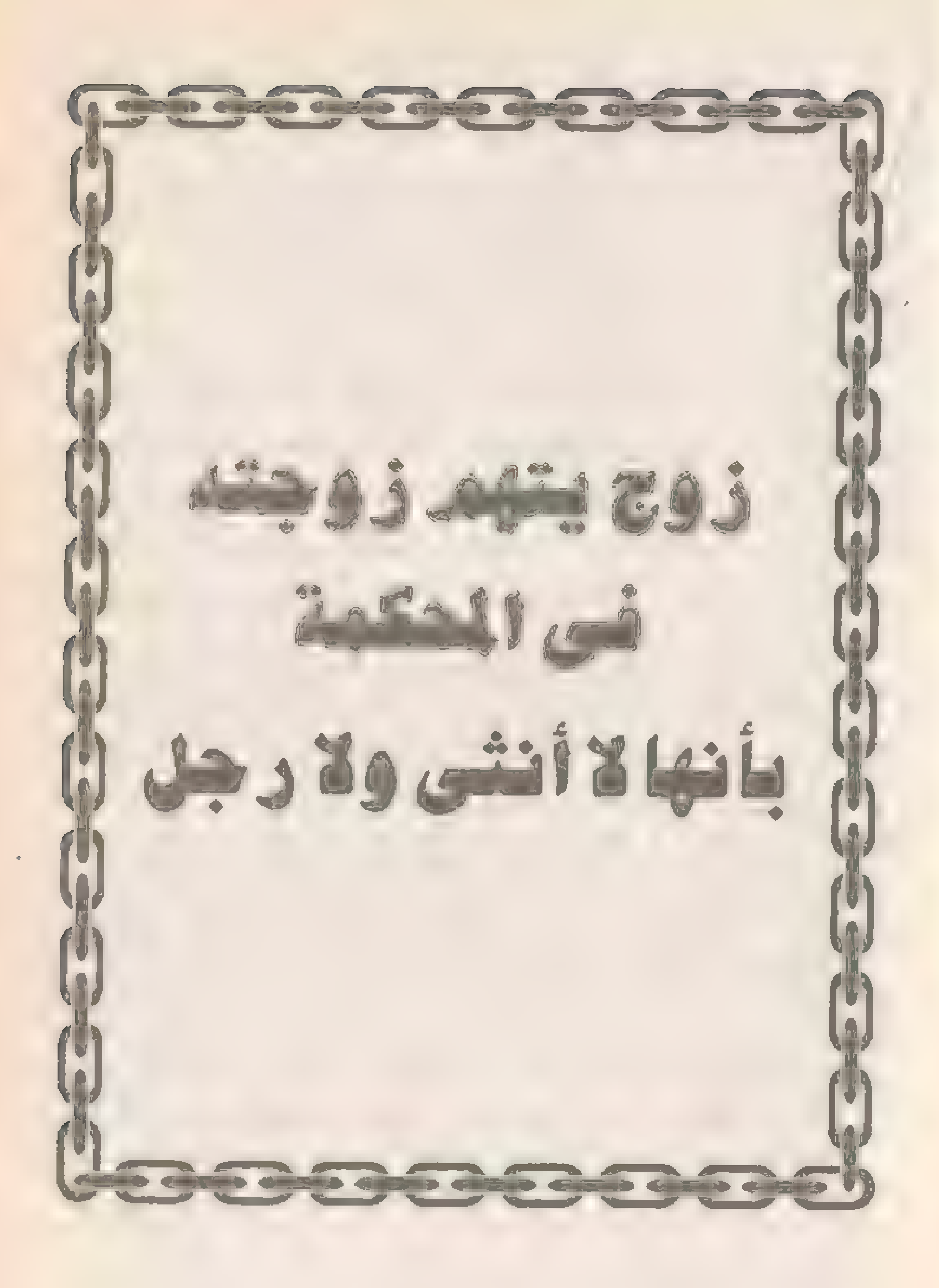
قد تكون كافرة !

قد يكون عقلها صغيرًا وقلبها أصغر .. لأنها فكرت فى نفسها ولم تفكر فى ابنها الوحيد !

قد لا تكون الأولى .. ولا الأخيرة !

لكن مؤكد أنها كانت إنسانة .. لها أحاسيس ومشاعر .. زوجة وأم وربة بيت .. راحت ضحية مأساة اسمها الزواج الثانى !

* * *



أرجوك سيادة القاضى .. لا تضحك !

ورغم أن شر البلية ما يضحك .. إلا أن بلوتى مع غرابتها تثير من الدهشة والغيظ أكثر مما تدعو للضحك والسخرية ..

تصورنى يا سيادة القاضى فى ليلة الزفاف .. أخيرًا تزوجت فتاة أحلامى التى خفق قلبى بحبها .. الفتاة جميلة كالقمر .. وبعد الحفل وبعد انصراف المدعوين .. أغلقت باب عش الزوجية وأنا أحلم بأحلى شهر عسل .. لكننى ما هى إلا دقائق يا سيادة القاضى حتى أصابنى الجنون وأخذت أدور مذهولاً فى العش الذى تحول فى لحظة إلى سجن مخيف ..

لماذا يا سيادة القاضى ؟

لأننى اكتشفت أن عروسى الحسناء باهرة الجمال .. ليست أنثى !

أى والله .. لا هى أنثى .. ولا هى رجل !

* * *

تلك كانت أغرب قضية عرضت مؤخرًا على محكمة جنوب القاهرة للأحوال الشخصية « دائرة الأجانب » عندما ذهب طبيب أمراض نساء شاب للمحكمة ليرفع دعوى يطالب بفسخ عقد زواجه من طالبة جامعية غريبة الجنسية ..

ووقف محاميه ليشرح الدعوى قائلاً : إن الطبيب تعرف على زوجته وهى طالبة جامعية ثم تزوجها لكنه فى ليلة الزفاف اكتشف أنها ليست أنثى .. ولاحظ وجود آثار لعملية جراحية أسفل بطنها .. وعندما سألها قالت له .

● لقد ولدت هكذا !

ـ سألها : ألست أنثى .. ألا تعانين من الأعراض الفسيولوجية التى تعانى منها أى أنثى ؟

● قالت له : أبدًا ..

ـ سألها : وأثار العملية الجراحية هذه ؟

● قالت له : لقد أجريت عملية جراحية على أمل أن أعثر على أعضاء أنوثة .. أو حتى أعضاء ذكورة مختفية داخل بطنى .. ولكن بدون جدوى !

* * *

استطرد المحامى قائلاً : إذن هى خنثى مشكل .. والخنثى المشكل كما عرفه الفقهاء مخلوق لا يعرف أذكر هو أم أنثى .. وذلك لوجود أعضاء الذكورة والأنوثة معًا فى وقت واحد .. أو لانعدام علامات الذكورة والأنوثة نهائيًا .. ويسمى المخلوق خنثى مشكل لأن أمره مشكل لا يستطيع الحكم بأنه ذكر ولا الحكم بأنه أنثى .. والخنثى المشكل لا يكون زوجًا ولا زوجة .. ولا يجوز تزوجه أو التزوج به .. وقديمًا كان إذا ادعى أحد الزوجين أنه خنثى .. يتم فحصه طبيًا فيغطى عضو الإناث حتى يكشف عليه الرجال .. ثم يغطى عضو الرجال حتى يكشف عليه الإناث .. فإذا صح ما أدعاه يتم فسخ الزواج .. وموكلى قد تأكد بنفسه وهو طبيب متخصص وسمع من زوجته ويطلب إحالتها للطبيب الشرعى لإثبات أنها ليست ذكرًا .. ثم الحكم له فى النهاية بفسخ عقد زواجه منها !

* * *

ـ ثم وقف محامى الزوجة ليقول : إن ما يزعمه الزوج غير صحيح فقد تزوجها ودخل بها وعاشرها .. لكنه من البداية أخذ يسىء معاملتها .. فمنذ الساعات الأولى للزواج ، وهو يلح عليها أن تضع كل ثروتها تحت تصرفه وذلك رغم ثرائه وعدم حاجته .. وعندما اعترضت بدأ يسومها العذاب والهوان .. فقد عاشا فى بيت ناء بحى مهجور بمدينة نصر .. وأخذ يتعمد إثارة الفزع والرهبة فى نفسها فكان يتركها ولا يعود إلا بعد منتصف الليل .. وعندما مرضت زوجته عاد كالعادة بعد منتصف الليل .. نسى أنه طبيب ولم يمد لها يد العون بالعلاج .. وأوى إلى فراشه قرير العين دون اهتمام ..

ـ وأضاف محامى الزوجة : إن الزوجة يا سيادة القاضى ذات خلق ودين وتحرص على الصلاة والصوم وتلتزم بكافة آداب وتقاليد دينها .. لكنه كان يسىء إليها فى دينها .. فيحول بينها وبين الصلاة ويختطف القرآن من يدها .. ويقول لها أنه رجل علمانى وتقدمى لا علاقة له بهذه الأمور .. وكان يحضها بعنف على مجالسة أصدقائه من الشيوعيين والعلمانيين .. وعندما كانت تعترض كان يتطاول عليها بالسب والشتم والضرب والطرد من مسكن الزوجية .. ثم حدث أن طلقها غيابيًا ثم أعادها .. وهكذا يا سيادة القاضى فإنه لا أمل فى استقرار الحياة الزوجية مع استخفاف الزوج بالدين والقيم ونخوة الشهامة .. إنها تطلب تطليقها منه .. وأيضًا فرض نفقة طعام وكسوة ومسكن وأجر خادم لها ..

* * *

حكمت المحكمة بتطليق الزوجة لاستحالة العشرة الزوجية .



مطار القاهرة ..

زحام وحركة دءوب مسافرون يسرعون بحقائبهم ، ومودعون فى عيونهم إحساس بالشوق للمسافرين قبل أن تبدأ غربتهم .

عائدون تقذف بهم بطون الطائرات إلى أرض المطار غرباء جاءوا للفرجة والسياحة ، ومصريون تقفز فى وجوههم فرحة العودة إلى أرض الوطن .

المذيعة الداخلية تعلن عن وصول الطائرة القادمة من أمريكا بعد دقائق يصل ركاب الطائرة إلى صالة الوصول ، ويندفعون نحو ضباط الجوازات كل يريد إنهاء إجراءات وصوله بسرعة بعض رجال النظافة يتوقفون عن العمل للحظات يشير أحدهم للآخر ناحية فنانة معروفة ، وصلت ضمن ركاب الطائرة لم تكن وحدها معها شقيقتها وزوجها المليونير المعروف الثلاثة يتحدثون بسعادة كانت رحلتهم فى الخارج ممتعة المليونير تاجر معروف . وقد تعود كل عام أن يصطحب زوجته وشقيقتها الفنانة فى جولة لقضاء بعض أسابيع الصيف فى الخارج .

بعد أن أنهى الثلاثة إجراءات الجوازات ووصلت حقائبهم المكدسة بالملابس والهدايا للأهل والأصدقاء .. وقبل أن يتوجهوا ناحية رجال الجمارك اقترب منهم ثلاثة شباب .

وهمس أحدهم فى أذن المليونير : ممكن تيجى معانا .

ـ سأله المليونير بدهشة : على فين ؟

قال الشاب : مكتب مكافحة المخدرات .

★ ★ ★

تصور نفسك عائدًا لمصر فى مطار بلدك حتى تفاجأ برجال المباحث حولك يريدون تفتيش حقائبك .. وحقائب زوجتك وأختها الفنانة المعروفة أيضًا .

فى مكتب مدير مكافحة المخدرات بالمطار تصبب المليونير بالعرق ، اصفر لون وجهه ثم شحب وازرق ، وراحت منه الدماء وزاغت عيناه ، ولم يستطع الوقوف فتهالك على أقرب مقعد وبينما الضباط يقومون بتفتيش حقائب المليونير وزوجته وأختها الفنانة حاول رئيسهم أن يهدئ من روع الرجل .

قال له : لقد تلقينا بلاغًا بأنك تنوى تهريب شحنة من مخدر الهيروين إلى داخل البلاد .

ـ صرخ المليونير : يا نهار أسود .. هيروين ؟ إنى رجل شريف يا سعادة البيه .

قال الضابط : إذن فلماذا الخوف .. تأكد أننا لسنا أداة لإيذاء أحد نحن أداة لحماية الناس والبلد .

ـ قال المليونير وهو يوشك على البكاء : قلبى يقول لى أنكم ستجدون مخدرات فى حقائبى .

سأله الضابط متعجبًا : قلبك ؟

ـ رد المليونير بعصبية .. نعم قبل عودتنا من أمريكا بيوم واحد تركت الحقائب لدى أحد أصدقائى فى أمريكا ثم أخذتها صباح اليوم دون أن أفتحها ، ربما يكون أحد قد دس لى فيها مصيبة إنهم يريدون تحطيمى منهم لله .

سأله الضابط : من هؤلاء الذين يريدون تحطيمك ؟

ـ لم يرد المليونير .. أطرق برأسه إلى الأرض فى ذهول .. وهو يتوقع أن يعثر الضباط على مخدرات فى الحقائب .. ويضعون القيود الحديدية فى يديه .

بعد ساعة مرت كأنها دهر كامل لم يعثر الضباط على أى مخدرات فى حقائب المليونير اعتذر له الضابط الكبير بأنه كان يؤدى عمله قبل أن ينصرف المليونير سقطت من عينيه دمعة .

ـ قال للضابط : ربنا لا يمكن أن يرضى بالظلم أبدًا .

صباح اليوم التالى فوجئ الضابط بالمليونير على باب مكتبه يطلب مقابلته دخل الرجل ، وكأنه شخص آخر شخص نجا من داهية محققة لكن حزنًا واضحًا كان يطل من عينيه .

قال المليونير : أنا مصرى شريف صنعت نفسى بكفاحى وعرقى انظر هذه أوراق الضرائب الخاصة بشركاتى إنها تؤكد أننى أسدد بانتظام الضرائب عن أعمالى التى تتجاوز خمس ملايين جنيه إننى أعطى بلدى حقها فكيف أدمرها بتهريب السموم إليها .

قال له الضابط : هل لك أعداء من مصلحتهم الكيد لك واتهامك زورًا .

ـ رد المليونير : لا يوجد على الأرض تاجر بلا أعداء أو خصوم لكنى والحمد لله علاقتى طيبة بكل الناس لا توجد خلافات بينى وبين أى إنسان إننى أؤمن بأن الحياة معركة شريفة حتى فى

تجارتى لم يحدث يومًا أنى آذيت أحد التجار ، إلى أنافسهم بشرف .. وإذا لم تصدقنى اسأل أخى التاجر المعروف هو يعرف كل شىء عنى وعن أخلاقى لأنه يعمل فى نفس مجال تجارتى اسأل أخى وسوف يؤكد لك أننى برىء .. برىء .

لكن آخر ما كان يفكر فيه الضابط هو أن يسأل شقيق المليونير لماذا ؟

★ ★ ★

لأن الذى قدم البلاغ الكاذب .. كان شقيق المليونير نفسه .



الرجال فقط .. دموعهم صعبة !

وهؤلاء الذين يتحملون بشرف مسئولية رعاية الآخرين . يرفضون عندما تتبخر قواهم الإعلان عن ضعفه أمام من يعتمدون عليهم .. ويؤثرون الانسحاب فى هدوء .. وتجرع آلامهم بعيدًا عن العيون .. الموت فى وحدة رهيبة !

هل كان الأستاذ حسن محمد سعيد وكيل أول مدرسة الفسطاط الثانوية للبنين واحدا من هؤلاء ؟!

لا أحد يعلم سواه !

لكن .. أين حسن ؟

لا أحد يعلم سوى الله !

* * *

تلامذة مدرسة الفسطاط الثانوية تابوا عن (الشقاوة) هذه الأيام !

وقسموا أنفسهم مجموعات .. وكل يوم بعد انتهاء حصص المدرسة .. ينطلقون فى شوارع مصر القديمة وحواريها يتفرسون فى وجوه الناس على محطات الأتوبيس والمقاهى وفى كل مكان .. ثم يعودون بعد ساعات إلى بيوتهم والأسى يثقل خطواتهم . لكنهم يواصلون الرحلة فى اليوم التالى بلا كلل أو ملل . ربما ينجح أحدهم فى إعادة الغائب العزيز .. الذى لم يرفع يوما عصا فى وجه تلميذ !

ربما يعثرون على الأستاذ حسن .. الذى حمل آلامه فى لحظة ضعف .. واختفى !

* * *

فى الصعيد .. صلابة الرجل ليست ترفًا !

فالأرض السوداء والشمس الملتهبة لا تلفح البشرة فقط باللون الأسمر . لكنها مع الأيام تلد الرجولة المبكرة هناك لا يوجد شباب . وإنما الطفل فجأة يجد نفسه رجلاً . يشب بكتفين مؤهلين لحمل أعباء الحياة !

هكذا كان الطفل حسن ابن مغاغة . الذى تعلم فى الكُتاب وتفوق فى مدرسة المعلمين . وحمل متاعه وزاده البسيط معه .. عندما صدر قرار بتعيينه مدرسا إلزاميا فى مدرسة طهطا .

وكانت حياته بسيطة للغاية ، من المدرسة إلى البيت . لا يغادره إلا للذهاب إلى المسجد القريب . وعندما استقربه المقام كان لابد أن يكمل نصف دينه وبعد بحث ومداولات . عثر له أهله على عروس شابة لم تكن قد أكملت عامها السادس عشر . بنت ناس كانت ناهد .. و(أحسن ناس) كما يقول الصعايدة . وهل هناك أفضل من حفيدة رفاعة طهطاوى .

* * *

وانتقل العروسان إلى بيتهما الجديد الصغير !

من ناحيته ومن اليوم الأول لزواجهما . أحسن معاملة عروسه الصغيرة . فلم يؤذها يوما بالقول ولا بالفعل . ومن ناحيتها رغم أن زواجها كان تقليديًا . فإنها بحكم تربيتها كانت تعرف جيدًا موقعها . فلم تناده أبدا وحتى النهاية إلا أنها بحكم تربيتها إلا بلقب

الأستاذ حسن كأنها راهبة فى محراب زوجها . عندما يذهب إلى المدرسة فى الصباح . تستغرق فى الاستعدادات لعودته الميمونة . تنظف وتمسح جيداً أرض البيت التى سيمشى عليها الأستاذ حسن تتفنن فى إعداد طعام الغذاء الذى يحبه الأستاذ حسن . فإذا عاد استقبلته بابتسامة خجلى . يتهالك على (الكنبة) فتجلس إلى الأرض تخلع عنه بكل الحب حذاءه . ثم تساعده فى ارتداء الجلابية التى غسلتها و(كوتها) بيديها !

فإذا جلسا تناول الطعام .

يمنعها الخجل من أن تمد يدها أولاً . لكن الأستاذ حسن لم يكن ليرضى إلا أن يختار لها أفضل الطعام .. إذا أصر على أن يطعمها بيديه . تزدرد اللقيمات بصعوبة . وتحمر وجنتاها خجلاً . وتشعر أنها أسعد النساء على ظهر هذه الأرض !

أكثر من ذلك .. ماذا تريد حواء ؟!

* * *

ناس زمان لايعرفون (الحب) كما يظهر فى الأفلام والمسلسلات !

الحب عندهم (عشرة) .. (والعشرة) تعنى الحياة . ولقد مضت الحياة بحلوها ومرها بالأستاذ حسن وحرمه الست ناهد كأفضل ما يكون . من الله عليهما بخلفة الأولاد والبنات . وترقى الأستاذ حسن بالاستقامة والكفاح من مدرس إلى مدرس أول . وكبر البيت وكبر الأولاد والبنات .

وكان الرجل يوزع ما فى قلبه من حب . على أولاده فى المدرسة وأولاده فى البيت . الذين كان يرى فيهم كل دنياه . ولم يكن ينادى أولاده وبناته بأسمائهم . ابنته دعاء كان يسميها (قلبى) وابنه محمد كان يطلق عليه (عينى) والصغيرة مروة كان يناديها بـ (حياتى) وآخر العنقود عمرو كان يسميه (روحى) ..

* * *

ثم صدر قرار بنقل الأستاذ حسن إلى مدرسة الفسطاط ..

وقرر أن ينتقل بأسرته إلى القاهرة . حتى يكمل الأولاد دراستهم الجامعية . وتلتحق دعاء بكلية الآداب . ولم يتغير حال الأستاذ حسن وأسرته عندما انتقلوا إلى العاصمة كان الصعيد فى قلوبهم فعاشوا نفس الحياة !

وأحبه تلاميذه واحترمه زملاؤه !

فالرجل لم يعط يوما درسا خصوصياً ولم يبخل يوما على تلميذ بمعلومة أو إجابة سؤال . ولم يتأخر يوما عن مشاركة زميل فى فرحه أو همه ، بدأ يترقى حتى أصبح وكيل أول مدرسة الفسطاط !

لكن من يزعم أن الدنيا يمكن أن تظل حلوة .. على طول الخط وحتى النهاية !!

* * *

فجأة ظهر شىء فى عنق الأستاذ حسن ! ورم صغير لاتلاحظه العيون بسهولة ، لكن الست ناهد ما كان يفوتها ذلك ظلت تلح عليه يوما بعد

الآخر حتى يذهب للطبيب . وأخيرا خضع لرأيها وذهب إلى المستشفى .

وبعد أن فحصه الطبيب قال له : لابد من إجراء جراحة لاستئصال هذا الورم !

وخرج الأستاذ حسن من العيادة ليمسح دموع زوجته وأولاده .

● وقال لهم : لاتخافوا .. هذا مجرد ورم حميد !

وأصر فى تلك الليلة وهم عائدون إلى المنزل على شراء (الكنافة) التى يعشقها أفراد أسرته .

● وقبل أن ينام قال لزوجته : بسيطة .. إن شاء اللّٰه !

★ ★ ★

بعد شهور أجرى الأستاذ حسن العملية الجراحية ..

لكن الطبيب قال له بأسى .. لايمكن أن أكذب عليك .. لقد تم استئصال ٧٥ ٪ من الورم .. وتسرب السرطان اللعين إلى حنجرتك للأسف !

وعاد الأستاذ حسن إلى البيت وفى عينيه آثار الهزيمة التى لم يكن يتوقعها !

وبدأ يتردد على معهد الأورام للعلاج بالليزر والكيماويات .. وبدأت صحته تنهار وجسده يضعف .. لكنه فى نفسه كان يبذل جهدًا جبارا لإخفاء ذلك عن أفراد أسرته .. الست ناهد وحدها كان قلبها (يأكلها عليه) كانت الوحيدة التى يمكن أن تدخل حجرته بدون استئذان . وكانت أحيانًا تضبطه جالسًا والقرآن مفتوحًا أمامه وآثار دموع فى عينيه يمسحها بسرعة .

● ويهمس لها فى انفعال : حتى كلمات كتاب اللّٰه .. لم أستطع قراءتها .. عيناى يا ناهد تخونني !

★ ★ ★

ماذا دار فى عقل ابن الصعيد ؟

ما الذى عاناه ؟

هل كان يخرج فجأة من المنزل إلى الشارع . حتى يستطيع وسط الزحام أن يطلق صراخ الآه من بشاعة الآلام التى كانت تهاجمه بضراوة ، بعيدًا عن أفراد أسرته حتى لا يعذبهم بعذابه ؟

كان يقاوم .. لكن وحش السرطان كان أقوى من مقاومته !

حتى ذلك الصباح .. وقف على باب حجرته وأولاده يستعدون للذهاب إلى كلياتهم . وكأنه يودعهم بنظراته .

- وسمعته الست ناهد يهمس بصوت خفيض .. حاتو حشونى .. يا أولاد !

★ ★ ★

عادوا عند الظهر فلم يجدوه كالعادة !

الفراش مرتب وحجرته نظيفة وأوراقه فى مكانها .. لكنه غير موجود . قدمت الست ناهد طعام الغذاء لأولادها ، وجلست تنتظر عودته .

دق التليفون فأسرعت ملهوفة .

وجاءها صوته من الناحية الأخرى : أنا حسن !

ـ سألته : إنت فين ؟

● لم يرد وسألها : أنتم كويسين ؟

ـ عادت تسأله بلهفة : أنت فين ؟

لكنها لم تسمع ردا .. أغلق التليفون فى المكان المجهول الذى كان يتحدث منه .. ومن يومها لم تسمع صوته .. ولم تشاهده !

* * *

هل كان من هؤلاء الرجال اللذين .. دموعهم صعبة ؟

هل رفض أن يراه من هو مسئول عن رعايتهم .. ضعيفًا منهارًا ؟

هل اختار أن يرحل وحيدًا .. ليتجرع فى صمت مهيب آلامه ويلقى نهايته وحيدًا .. حتى لا يعذب من أحبهم من الأعماق ؟

.... من أجلهم .

ليتك لا تكون من هؤلاء يا أستاذ حسن !

* * *

سعاد حسنى ..
التى قتلناها !

قتلناها ..

قتلنا سعاد حسنى ..

فى ذروة لحظات ضعفها ، فى عز آلامها المبرحة التى هدت حيلها سنوات . وفى الوقت الذى كانت فيه فى أشد الحاجة للأيدى الرحيمة لتربت فى حنان على ظهرها المكسور . والقلوب الدافئة لتطرد عنها برودة الغربة الوحشة .

تحولت القلوب إلى صخور ..

والعطف إلى جحود ..

والحنان إلى ألسنة فظيعة لاترحم ..

وامتدت كل الأيادى فى لحظة واحدة ـ القسوة التبلد الظلم الافتراء ـ ودفعتها من ظهرها المريض وهى تقف فى شرفة بيت صديقتها فى لندن . لتهوى ٦ طوابق كاملة ولتسقط جثة هامدة !

وقتلناها ..

قتلنا سعاد حسنى ..

أول مرة قابلت فيها سعاد حسنى ..

كان ذلك فى العاصمة البريطانية لندن . وبينما كنت أغادر مصعد الفندق فوجئت أمامى بالفنان محرم فؤاد . كان مريضًا شاحبًا تعانقنا

فى حرارة فنحن أصدقاء منذ سنوات ، واتفقنا على اللقاء فى نفس اليوم ، فقد كان محرم يقيم فى نفس الفندق . والتقينا فى المساء . وجلس محرم فؤاد ليحكى لى فى مرارة حكايته مع المرض ..

● وقال لى فى تأثر : صدقنى أننى رغم كل آلامى لم أشعر بقسوة المرض والزمن . إلا عندما قابلتها أمس !

ـ سألته : من ؟

قال : سعاد حسنى ..

بدأ محرم فؤاد يروى لى كيف أنه فى الليلة الماضية عندما هبط إلى بهو الفندق . وجد أمامه سيدة بدينة ترتدى نظارة سوداء وتجلس على أريكة وهى لاتحرك وجهها يمينًا أو يسارًا حتى ظن أنها عمياء ، لكن لسبب لايعرفه توقف أمامها وهو يحدق فى وجهها بشدة . هذا الوجه ليس غريبًا عليه ، إنها تشبه وجهًا يعرفه لكنه لايتذكر صاحبته . والغريب أنه شعر أن نظرات السيدة البدينة رغم النظارة السوداء قد تسمرت عليه وكأنها هى الأخرى تعرفه لكنها لاتتذكر من يكون ؟

وأخيرًا .. انحدرت دمعة من خلف النظارة السوداء ..

ـ قالت صاحبتها فى صوت مؤثر : حسن .. أنت نسيت نعيمة ؟

ورفعت النظارة السوداء عن عينيها ..

كانت سعاد حسنى ..

واندفع الاثنان كل منهما نحو الآخر .. ودموعه تسبقه ..

المرض اللعين ، والزمن القاسى صنع كل ذلك فى سعاد حسنى ومحرم فؤاد ، أو حسن ونعيمة . كما بدأ الاثنان معا حياتهما الفنية فى الفيلم الشهير منذ سنوات طويلة ..

وعندما انتهى محرم فؤاد من حكايته لى عن هذا اللقاء مع سعاد حسنى كانت دموعه قد أغرقت وجهه ..

وأخرجت منديلا من جيبى لكنى لم أعطه له .. وإنما مسحت به دموعى !

* * *

فى اليوم التالى مباشرة .. رأيت سعاد حسنى ..

اتصل بى الصديق الصحفى عبد اللطيف المناوى الذى كان يعمل ويقيم فى لندن مع زوجته المذيعة رولا خرسا ليدعونى وزوجتى لتناول العشاء فى بيته ..

● لكنه قال لى : لقد وجهت الدعوة أيضًا لسعاد حسنى . وهى عندما عرفت أنك مدعو . تسألك إن كنت ستحضر بصفتك صديقا أم صحفيا ، لأن ظروف مرضها وعلاجها هنا فى لندن جعلتها تفضل العيش فى عزلة . وتحرص على الابتعاد عن الصحافة والأضواء ..

ـ قلت لصديقى : أبلغ سعاد أن تطمئن .. لأنى حريص أيضًا على ألا يضايقها أى صحفى .. حتى لو كنت أنا ذلك الصحفى ..

فى المساء .. جاءت سعاد حسنى ..

وأعترف أننى صدمت عندما رأيتها ، فقد كانت البدانة قد تغلبت عليها . ولم تكن تتحرك بسهولة ، لأنها كانت ترتدى ما يشبه البذلة البلاستيك تحت ملابسها بسبب آلام العمود الفقرى . وقد تعمدت ألا أقترب منها أو أتحدث إليها ولاحظت هى ذلك ..

● فاقتربت منى وقالت بابتسامة حلوة : موش قوى كده .. أنا قلت موش عايزة أحاديث صحفية . لكن ما كانش قصدى إنك تتجاهلنى ؟!

وضحكنا ..

وكانت سهرة لطيفة شبه عائلية . فلم يكن هناك سوى المضيف وزوجته . وأحمد الإبراشى المستشار المصرى الإعلامى فى لندن وحرمه السيدة سهير عبد الرحمن والدكتور وفيق مصطفى ، وهو طبيب مصرى يعيش منذ سنوات طويلة فى لندن ، وطوال السهرة كانت سعاد حسنى تتحلى بروح المرح والدعابة ، كانت قد قطعت شوطا طويلاً فى مشوار العلاج المضنى ..

لكنها كانت فى الحقيقة تجاهد لإخفاء الآلام التى تهاجمها كل فترة !

وكان من الواضح أنها تعذبت كثيرًا ..

من المؤكد أن معظم الناس لم يعرفوا حجم الآلام الرهيبة التى تعرضت لها سندريلا الشاشة . لقد جعلها المخرجون طوال سنوات ترقص وتغنى و(تتنطط) لتسعد ملايين الناس . مع الأيام تعب عمودها الفقرى ولم يتحمل كل هذا المجهود . كانت آلامها فظيعة مبرحة لم تنفع معها المسكنات والمهدئات بكل أنواعها . وحتى عندما سافرت إلى باريس وأجريت عمليه جراحية بعد أن أصيب عمودها الفقرى بشرخ خطير ، لم تفشل الجراحة فقط . وإنما كان لها تداعيات أكثر !

وحدث فى تلك الفترة فى باريس أن وقع الزلزال الأول فى مصر ..

اجتمعت نخبة من الفنانين المصريين تضم سمير صبرى وفريد شوقى وعمر الشريف ورمزى يسى و سهير البابلى وليلى علوى . وقرروا إقامة حفل كبير على مسرح اليونسكو بباريس لصالح ضحايا الزلزال . وعندا عرفت سعاد حسنى بالخبر رغم أنه لم تكن قد مضت سوى أيام قليلة على العملية الجراحية الفاشلة إلا أنها أسرعت إلى سمير صبرى ..

● وقالت له : أنا لازم أقدم فقرة فى هذه الحفلة .. وده أقل شىء أقدمه لبلدى فى محنة زى دى !

وعبثًا حاول سمير صبرى أن يقنعها بأن تكتفى بالظهور فى نهاية الحفل على المسرح . إلا أنها أصرت على أن تؤدى فقرة عندما ظهرت سعاد على المسرح ، فوجئت بأكثر من ٦ آلاف من المتفرجين يقفون على أقدامهم لتحيتها بتصفيق حار استمر خمس دقائق . وطوال الدقائق الخمس أخذت سعاد تنحنى للجمهور الذى لكم يكن يعرف أن الانحناء يسبب لها آلاما فظيعة . لكن حب سعاد لمصر ولفنها ولجمهورها لم يشعرها بهذه الآلام . وبدأت ترقص للجمهور وتغنى لهم (يمبى بمبى الحياة بقى لونها بمبى) ..

بينما الحقيقة أن الحياة وقتها فى وجه سعاد حسنى .. كان لونها أسود !

فقد كانت قد أنفقت الكثير من أموالها ..

وعندما عرض أمير عربى أن يدفع فاتورة المستشفى فى باريس .. رفضت بكل إباء وشمم ..

وسافرت سعاد حسنى إلى لندن لتبدأ رحلة العلاج من جديد . وهناك استأجرت شقة متواضعة مكونة من حجرة وصالة فقط يطلقون عليها اسم (استديو) . وبدأت برنامج العلاج الطويل وأجرت أكثر من عملية جراحية فى العمود الفقرى كما كانت تعالج من إصابة فى العصب السابع فى وجهها ..

وفى بداية وجودها فى لندن كانت تلتقى بالجميع . وتلبى كل الدعوات . لكن الذى حدث بعد ذلك أنها وجدت نفسها مضطرة للعيش فى عزلة ..

لم تكن تحب نوعية الناس الذين يلتفون حولها لمجرد المتاجرة باسمها .. ومن ناحية أخرى .. بدأ اهتمام من كانوا يزعمون أنهم أصدقاء يفتر . واختفوا واحدًا بعد الآخر ..

فمن هو الذى لديه وقت أو (خلق) ليسمع من سندريلا الشاشة القصص الحزينة عن مرضها وآلامها المستمرة ، أو عن تكاليف علاجها الباهظة ؟!

كما أن .. البعيد عن العين بعيد عن القلب ..

انقطعت الاتصالات التليفونية التى كانت تأتيها كل يوم من أهل الفن فى مصر . ما عدا قلة مخلصة من الأصدقاء على رأسهم كمال الطويل وحرمه ونادية لطفى ويسرا وسمير صبرى ونجلاء فتحى ..

لم يعد أحد يسأل عنها أحدًا .

ولم تعد هى تهتم .. بأن يسأل عنها أحد !

وانقطع الشريان الذى كان يربط سندريلا .. بعالم سعاد حسنى (بتاعة زمان) !

* * *

انتهت سهرة العشاء ..

وغادرنا بيت الصديق المناوى فى حى (أكتون) بأطراف لندن فى ساعة متأخرة من الليل ؛ تفاجئنا أمطار لندن وثلوجها ..

● قالت لى سعاد حسنى وهى تودعنى : مصر .. وحشتنى قوى !

وغادرت لندن عائدا إلى الوطن وهذه الجملة تثير الأسى فى نفسى . ورغم أننى فى كل مرة بعد ذلك كنت أتصل بها كل فترة للاطمئنان عليها كانت ترد بأنها (كويسة والحمد لله) ، إلا أنها أبدا لم تستطع إخفاء الشجن الذى كان ينبعث من كلماتها .

وكنت متأكدًا فى قرارة نفسى أنها أبدا (موش كويسة) !

وكان الشىء المحزن .. أن الناس نسوا سعاد حسنى !

ولم يعد أحد يهتم أو يسأل نفسه كيف تعيش سندريلا وحيدة فى الغربة . بعد أن كانت فى يوم من الأيام تحت كل الأضواء . أجمل الوجوه النسائية التى ظهرت على الشاشة المصرية فى القرن العشرين . الموهوبة التى أجادت فى الكوميديا فى : (صغيرة على الحب) (جناب السفير) . وتفوقت فى الدراما فى : (بئر الحرمان) و(أين عقلى) و(الزوجة الثانية) و(شروق وغروب) و(القاهرة ٣٠) و(على من نطلق الرصاص)

والغريب أن الدولة فقط هى التى اهتمت ..

فقد صدر قرار من مجلس الوزراء بعلاجها على نفقة الدولة . كما صدر قرار بتجديد فترة هذا العلاج . لكن سعاد حسنى كانت

شديدة الحساسية . فقد اختفت وظل الملحق الطبى المصرى فى لندن يبحث عنها لإبلاغها بالقرار الثانى ..

وفى النهاية عرفوا أنها داخل إحدى المصحات .. وأنها تعالج .. على حساب ما تبقى لها من آخر مليم فى حياتها !

* * *

قبل ٣ شهور سافرت إلى لندن ..

وكنت الصحفى الوحيد الذى أجرى آخر حديث صحفى مع سعاد حسنى ..

قد وجدتها فى غاية الألم ، إلى درجة البكاء !

كانت قد تعرضت إلى حملة صحفية (مسعورة) فى بعض المجلات والصحف المصرية للأسف ..

قالوا : سعاد حسنى تتسول فى الغربة !

وقالوا : سعاد حسنى أصبحت مثل القطط الضالة . تبحث فى صناديق الزبالة فى شوارع لندن !

وقالوا : لقد فقدت السيطرة على نفسها .. أصبحت تأكل كالمتوحشين بيديها من الطبق مباشرة وتسقط بقايا الطعام على ملابسها !

ولم أشاهد سعاد حسنى أبدا وهى فى مثل هذه الحالة النفسية من الألم والإحباط والمرارة .

قالت لى وهى تبكى : كيف يكتبون عنى مثل هذا الكلام الفظيع الكاذب . هل هذا ثمن أننى أعيش فى حالى . ألا يكفى ما أعانيه ؟ ولماذا الإصرار على هدم رموزنا الفنية وتشويه كل شىء جميل ؟

وحاولت أن أهدئ من روعها ..

لكنها كانت تبكى بحرقة ومن قلبها ..

واجتهدت لكى أقوم بتغيير موضوع الحديث حتى تنسى سعاد دموعها . وفى شقتها المتواضعة فى حى (ايرلز كورت) أمام مستشفى كرومويل فى لندن . وهى شقة فى الطابق الأرضى من عمارة سكنية تؤجر كل شققها مفروشة . ويملك هذه العمارة بعض العراقيين . لم يكن هناك فى الشقة سوى بعض ملابسها متناثرة وبعض الكتب والأسطوانات . ولا شىء على الجدران سوى بعض الآيات القرآنية ..

لم تكن هناك سوى صورة فوتوغرافية واحدة فى إطار على منضدة صغيرة ..

كانت صورة صلاح جاهين !

ولقد كان صلاح جاهين أهم شيء فى حياة سعاد حسنى لسنوات طويلة . الذين عرفوها عن قرب كانوا يعلنون أنها أبدا لم تكن فى حاجة للحب الذى يعرفه الناس . ذلك الحب بين رجل وامرأة . لكنها كانت دائمًا (محتاجة) (لحب الأب) . وكان صلاح جاهين هو ذلك الأب الذى عثرت عليه بعد طول معاناة رغم زيجاتها الأربع ..

صلاح جاهين لم يصنع (خلى بالك من زوزو) فقط !

صلاح جاهين (خلى باله من سعاد حسنى نفسها) !

كان الأستاذ ، والصديق ، والأب ..

وعندما مات صلاح جاهين ..

كتبت سعاد حسنى فى قرارة نفسها .. شهادة وفاتها !

وكانت تكتب شهادة الوفاة هذه لنفسها كل يوم وهى تدندن بأغنية صلاح جاهين ..

ادى اللى كان ..

وادى المصير ..

نودع الماضى بحلمه الكبير .. إيه العمل .. فى الوقت ده يا صديقى ؟

سألتها : دى صورة عم صلاح ؟

قالت : صلاح جاهين يعيش معى امبارح والنهارده وبكرة !

كانت رغم كل ظروفها التعسة تبحث عن القشة التى يبحث عنها الغريق . قالت لى أنها سجلت أشعار صلاح جاهين فى إذاعة الـ (بى . بى . سى) البريطانية . كما سجلت بعضها للإذاعة المصرية . وقالت أنها تقرأ سيناريوهات بعض الأعمال التى عرضت عليها مؤخرًا .

وقبل أن أودع سعاد حسنى قالت لى مرة أخرى : قريبًا جدًا .. أنا راجعة لمصر !

وعدت لأكتب ذلك فى (آخر ساعة) ..

وكان عنوان الحديث : سعاد حسنى تقول (أنا .. راجعة مصر) ..

لكن لم يخطر على بالى أبدًا أنها سترجع .. جثة هامدة !

* * *

ماذا حدث بالضبط ؟

معلوماتى : أن سعاد حسنى تركت شقتها منذ حوالى شهرين وانتقلت إلى المصحة التى كانت تعالج فيها ، وهى تبعد عن لندن حوالى ٥٠ ميلاً ؛ ومن المؤكد أنها يوم تركت الشقة كانت تنوى مغادرتها للأبد . لأن الذين ذهبوا إلى شقتها بعد الحادث أكد لهم أصحاب العمارة أن سعاد قامت بتصفية حساباتها نهائيًا . وليست لها أية متعلقات داخل الشقة ..

ومعلوماتى : أن برنامج علاجها خلال الشهرين الماضيين تركز على تخفيف وزنها . وقد أكد أطباء المصحة أن وزنها انخفض ١٠ كيلوجرامات بالفعل خلال هذين الشهرين . وأن حالتها الصحية النفسية كانت (واعدة) على حد تعبيرهم . وأكد الأطباء أنه لو كان لديهم أدنى شك فى صحتها أو نفسيتها ماسمحوا لها بمغادرة المصحة يوم الأربعاء الماضى ..

لكنها لم تتوجه إلى شقتها ..

وإنما ذهبت إلى صديقة لها اسمها نادية ، وهى مصرية تعيش فى لندن فى شقة بالدور السادس فى العمارة التى يطلق عليها « ستيوارت تاور » فى شارع (ادجوار روود) . أو شارع العرب كما يطلقون عليه فى لندن . حيث يعيش معظم العرب ..

وهذه العمارة يعرفها كثير من المصريين العرب الذين يزورون لندن . ويستأجر بعض شققها مصريون مثل صلاح أبو سيف وعبد المجيد فريد وألفريد فرج ..

لكن هذه العمارة لها شهرة أخرى أكثر إثارة : إنها نفس العمارة التى سقط من الطابق الحادى عشر بها الليثى ناصف .. ولقى مصرعه !

لكن .. من هى نادية صديقة سعاد حسنى ؟

لا أحد يعرف ..

لماذا غادرت سعاد المصحة يوم الأربعاء وذهبت إليها ؟

لا أحد يعرف ..

ماذا حدث بالضبط ليلة الخميس التى كانت ليلة الحادث المشئوم ؟

لا أحد يعرف !

هل انتحرت سعاد حسنى ؟

لا أحد يعرف !

هل أصابها دوار بفعل الأدوية والمهدئات وسقطت من الشرفة ، ومعروف أن شرفات هذه العمارة حواجزها قصيرة للغاية ؟

لا أحد يعرف !

لكن كل هذه الأسئلة هى محل التحقيق الذى يقوم به رجال الشرطة (بادنجتون) .. وهى المنطقة التى تقع بها العمارة التى وقع بها الحادث .

وملف هذا التحقيق .. لم يغلق بعد ..

* * *

كانت مثل طائر رقيق .. وحيد وجريح ..

فى فترة الأخيرة لم تكن تثق إلا فى إنسان واحد فى هذه الدنيا ، هو مصرى يعيش فى لندن منذ أكثر من ٢٠ سنة . شخص محترم وكتوم ومهذب . كان هو الوحيد الذى تبثه همها وآلامها . وقد حكت له كل أسرار حياتها على شرائط كاسيت ، لتكون مذكراتها ..

وللمرة الثانية فى حياتى سوف أخالف ضميرى الصحفى . فقد أقسمت له ألا أبوح باسمه . لكنى مضطر لأن أحنث بقسمى .. هذا الشخص هو الصحفى المصرى منير مطاوع ..

وقد اتصلت به أمس لأحاول أن أعرف منه (آخر الأخبار) ..

واستغرقت المكالمة ربع ساعة ..

لكنى لم أسمع كلمة واحدة ..

فقد كان يبكى ـ بحرقة ـ طوال المكالمة ..

وتذكرت أنه كان معى يوم أجريت آخر حديث مع سعاد حسنى ..

وبعد أن انتهى الحديث . أدار الرجل الكتوم وجهه بعيدًا . ومسح دموعا سالت على وجهه رغما عنه ..

ـ كان قد سأل سعاد حسنى : ليه الكلام عن الموت ؟

● قالت فى صوت جريح : « إيه فايدة الدنيا .. وإيه اللى أقدر أعمله .. ما حدث معايا فى الدنيا دى .. خلاص دورى انتهى ! »

* * *

ألم أقل لكم ؟

أننا .. قتلناها ؟!

قتلناها حين تركناها وحيدة فى الغربة .. دون اهتمام حقيقى من أحد ..

قتلناها عندما لم نفكر ـ كبشر أو كجهات مثل نقابة الممثلين ـ فى أن نرسل لها بمناسبة وبدون مناسبة . رسالة تشجيع .

أو باقة زهور ..

وغدا .. سوف نمشى فى جنازتها ..

سوف نضع زهورا كثيرة على نعشها ..

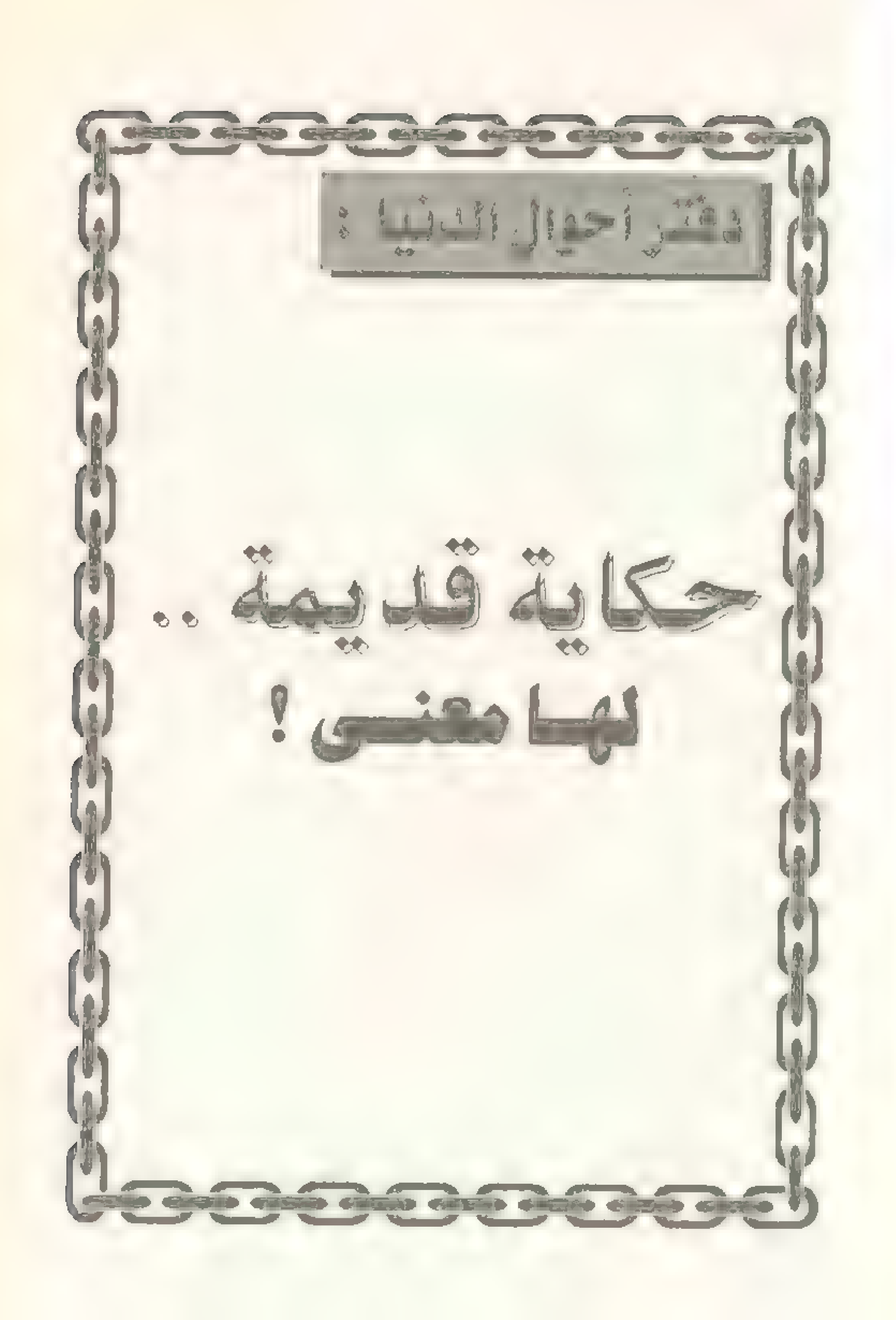
وسوف تمتلئ صفحات الجرائد والمجلات بصورها وقصص من حياتها ..

وسوف يذيع التلفزيون طوال ستة أشهر أفلامها ..

لكننا فى نفس الموعد من كل عام فى الذكرى السنوية لرحيلها ..

سوف نكون قد نسينا كل شىء !

* * *



كان يعيش فى سالف الزمان ملك يحصل على ما يشاء متى شاء . إذا رغب فى عربة جديدة اشتراها ، وإذا أراد ثيابا جديدةً اقتناها .. وإذا أعوزه المال كتب بكل بساطة يُدفَع لحامله .

وذات يوم تغيرت الأحوال ..

فعندما كتب الملك : يُدفَع لحامله ، صعق . عندما رد عليه التاجر بقوله : كم أود ذلك ، ولكنى فى حاجة إلى مال .

وتضايق الملك إلى حد جعله يذهب إلى تاجر آخر ، ولكن الأخير أجابه بأن المال ينقصه فغادر الملك السوق وهو فى أشد حالات الغضب .

واستدعى الملك وزير ماليته وقال : النقود قليلة فى البلد ، نريد منك طبع أوراق بنكنوت تكفى حاجة كل إنسان .

وشحب وجه الوزير ، وقال : ولكن يا مولاى ، هذا من شأنه أن يسبب التضخم . واستطرد يقول :

لعل جلالتكم ، تذكرون ما حدث للملكة المجاورة لنا ، تضخم شديد ، وانخفاض فى قيمة الأوراق المالية .

وكانت السلة الملأى بالبطاطس خير من التى تملأ بالأوراق المالية .

وقطب الملك . وبدا له أن المشكلة تزداد تعقيدًا ، فأمر رجال الاقتصاد فى مملكته بأن يعدوا له تقريرا موجزا عن موضوع (قلة النقود ، وعلاجه)

وبعد أسابيع عديدة أحضروا إليه مجلدات مشحونة الجداول والأرقام لم يفهم منها شيئًا . فما كان منه إلا أنه نفاهم خارج المملكة ولم يستبق منهم إلا اقتصاديا واحدا قال له وهو يرتعش : يا مولاى ، لقد أوجزت الموضوع كله فى خمس كلمات هى : لا توجد وجبة غذاء مجانًا من غير مقابل ..

واستشاط الملك غضبًا ، ولكنه فى غضبه كان يفكر ، وفجأة ذهب غضبه وصاح : لعلك اكتشفت شيئًا ذا قيمة .

وأخذ الاقتصادى يشرح رأيه قائلاً : عندما يقترض الناس أكثر مما يدخرون تقل النقود .

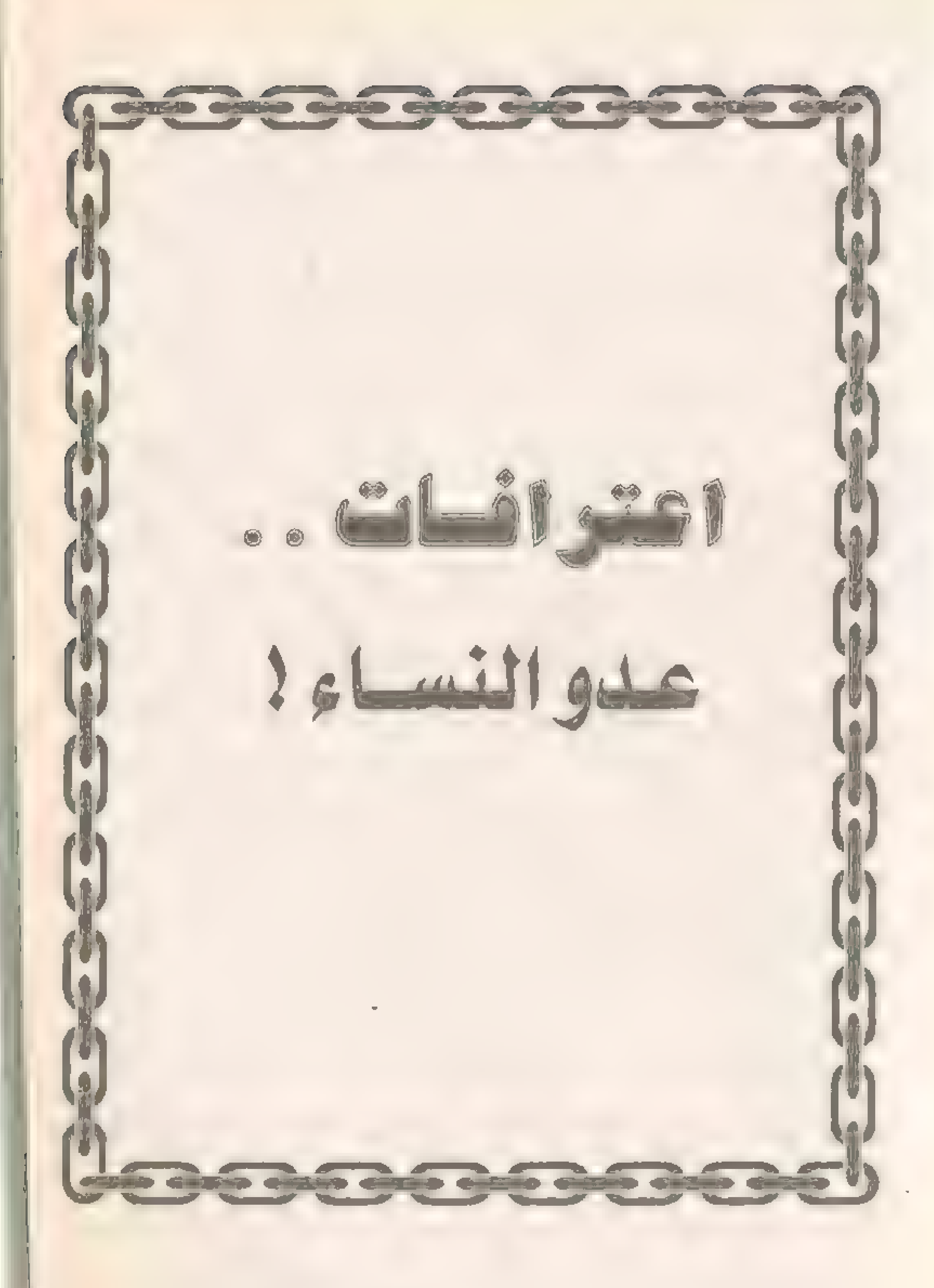
وقال الملك : حتى الملك نفسه لا يستطيع أن يقترض ما لم يكن راغبًا فى طبع أوراق البنكنوت ، لأنه كما قلت أنت من قبل : لا وجبة غذاء من غير مقابل .

وقال الاقتصادى : قول حكيم يا مولاى ، ولكن إذا ادخر الناس أكثر توافر المال الذى يمكن إقراضه ، وبعد شبح التضخم .

وعقب الملك في سرور بالغ : كل ما نحتاج إليه هو زيادة الادخار . وقد افتتح الملك نفسه حساب ادخار ، وبدأ في ادخار جزء من مصروفه اليومى كل يوم ، وأصدر أمرا يحتم على رعاياه أن يحذوا حذوه . وهكذا لا يحدث أن يقلّ المال .

المغزى : إذا كان كل منا ، معشر الملوك يدخر شيئًا كل يوم فلن نحتاج يومًا إلى المال .

* * *



بدأت القصة .. بجريمة واحدة !

الجريمة حدثت مساء يوم ١٩ أغسطس الماضى ـ أى قبل حوالى أربعة شهور ـ عندما كانت الفتاة رشا عبد اللطيف وهى شابة فى الحادية والعشرين من عمرها ، حاصلة على ليسانس الحقوق تسير فى شارع الهرم .. ولم يكن هناك شىء يميز رشا وهى فى طريقها سوى جمالها الواضح !

وفجأة .. ودون سابق إنذار : جاء من خلفها شاب أسمر اللون ، وعندما عبر من جوارها ابتعدت قليلاً ..لكنها فوجئت بالشاب المجهول يتوقف ويلقى عليها نظرة خاطفة .. وفى برهة خاطفة أخرج من جيبه زجاجة صغيرة فتح سدادتها ، وألقى بمحتويات الزجاجة على وجهها !

صرخت رشا صرخة هائلة !

فقد شعرت أن كتلة من النار سقطت فجأة على وجهها فاشتعلت النيران به !

تجمع المارة هناك وأسرعوا بحمل رشا إلى مستشفى الهرم حيث اكتشف الأطباء أنها مصابة بحروق نارية فى الوجه والصدر نتيجة إلقاء مادة كاوية عليها .. هى ماء النار !

وبدأت الشرطة فى نفس الليلة تحرياتها لكشف غموض الحادث وكان السؤال هو : من هو الذى يريد تشويه وجه فتاة جميلة مثل رشا ؟ واستمرت تحريات الرائد عبد الوهاب شعراوى وكيل مباحث فرقة غرب الجيزة أكثر من أسبوع ، وفى البداية اتجهت الشكوك إلى شخص محدد لقد كانت رشا مخطوبة من قبل لمحاسب شاب . فهل يكون هو الذى ألقى عليها ماء النار لينتقم منها لفسخ الخطبة ؟ لكن التحريات نفسها أكدت براءة الخطيب السابق ! فقد تبين أنه شاب مهذب وملتزم وأن الخطوبة تم فسخها لاعتراض أسرته وليس أسرة الفتاة نفسها . بل وتبين أن المحاسب الشاب قد (نسى الموضوع) وتزوج من ابنة عمه ويعيش حياة هادئة !

أما الفتاة رشا نفسها .. فهى من أسرة طيبة والدها صيدلى معروف فى شارع الهرم وانتهت التحريات إلى ..

طريق مسدود !

لكن ملف الجريمة لم يغلق ! فما هى إلا فترة شهرين حتى وقعت جريمة مشابهة .. وأيضًا فى شارع الهرم !

* * *

مساء يوم ٣١ أكتوبر الماضى ..

خرجت راقصة شابة من منزلها فى منطقة الهرم . وسارت على قدميها بضع خطوات وفجأة .. ظهر شاب مجهول .. كان يحمل فى يده زجاجة صغيرة .. ألقى بمحتوياتها على وجه الراقصة وهرب !

وصرخت أيضًا صرخة هائلة .. وعندما أسرع رجال المباحث إلى المستشفى وقال لهم الأطباء أن سبب حروق وجهها هو إلقاء ماء نار عليها .

سألوها : ماذا حدث ؟

قالت وهى تتألم : أبدا .. كنت أقف فى انتظار تاكسى حيث كان خطيبى ينتظرنى فى شارع الملك فيصل . وظهر هذا المجهول وألقى ماء النار على وجهى .

سألوها : ومن نقلك إلى المستشفى ؟

قالت : شاب ابن حلال .. كان يركب سيارة مرسيدس وكان واقفًا بالقرب من مكان الحادث !

لكن المقدم عرفة حمزة رئيس مباحث العمرانية ـ بخبرة رجل المباحث ـ لم يستطع أن (يبتلع) هذه الإجابة ! وعندما طلب من رجاله أن يبحثوا عن الحقيقة عادوا ليؤكدوا له : للأسف أن الراقصة المجنى عليها (متعودة) على إيقاف السيارات فى شارع الهرم بطريقة الأوتوستوب . إنها كانت لحظة الحادث تهم بدخول السيارة المرسيدس . عندما ظهر (الجانى المجهول) وألقى عليها بماء النار وهرب ونقلها الشاب صاحب المرسيدس إلى المستشفى . ثم انصرف فى هدوء !

* * *

لم يمر هذان الحادثان مرور الكرام !

طلب اللواء عدلى فايد مدير الإدارة العامة لمباحث الجيزة من اللواء عبد الوهاب خليل مدير البحث الجنائى تكثيف تحريات المباحث حول الحادثين . وأيضًا تكثيف تواجد رجال المباحث السريين فى شارع الهرم .

إن وجود مجرم يحمل زجاجات ماء النار فى شارع الهرم المزدحم دائمًا .. شىء فى منتهى الخطورة ! وكان المطلوب : القبض على هذا المجهول فى أسرع وقت .

وهذا شىء ـ بكل المقاييس ـ ليس سهلاً فى شارع الهرم الذى يتردد عليه ويزدحم بناس يصل عددهم فى اليوم الواحد إلى .. نصف مليون إنسان !

لكن المجرم نفسه .. جعل المهمة سهلة !

قبل أسبوع واحد ..

وفى حوالى العاشرة والنصف مساء ؟ غادرت مقهى (نجوم فيصل) ـ وهى كافيتريا فى شارع الملك فيصل يتردد عليها الشباب الفتيات ـ فتاتان لا يزيد عمر أكبرهما على ٢٢ سنة ، الأولى .. راقصة فنون شعبية ، والثانية .. صديقتها ، وأمام المقهى .. كانت الفتاتان تشرعان فى ركوب السيارة وانشقت الأرض عن الشاب المجهول حامل زجاجة ماء النار . وفى لمح البرق كان قد ألقى بمحتويات الزجاجة على راقصة الفنون الشعبية .. وأسرع هاربا !

صرخت الراقصة .. وتعالى صراخ المارة .. وأسرع بعضهم يطارد الشاب المجهول الذى كان يجرى بجنون فى الشوارع الفرعية .. لكن بعض الشباب ومنهم اثنان طلبة فى كلية الشرطة .. تمكنوا فى النهاية من القبض عليه .

وقبل أن تصل سيارة الشرطة .. كان المارة قد تجمعوا وانهالوا بالضرب العنيف على حامل زجاجات ماء النار !

* * *

فى قسم الشرطة كانت هناك أكثر من مفاجأة ..

المتهم أحمد محامٍ شاب تخرج فى كلية الحقوق قبل عامين .. ويعمل محاميًا فى مكتب محام معروف .

هو من أسرة بسيطة .. والده إنسان طيب من أهالى أسوان .. يعمل (بوابًا) منذ سنوات طويلة فى إحدى العمارات بحى المنيل . ليس له سوى أخ وأخت متزوجة .

حاول رجال المباحث أن يتوصلوا إلى الدافع الذى يجعل مثل هذا الشاب يهاجم فتيات لا يعرفهن . ويقوم بتشويههن بماء النار .

قالوا : إنهم اكتشفوا أنه غير ملتزم دينيا . وأنه يعانى من عقدة (إنسان غير مرغوب فيه) وأنه غير قادر على إيجاد علاقة بينه وبين الجنس الناعم .. بالإضافة إلى أنه يعانى من عقدة تدنى مستواه الاجتماعى ـ رغم أنه تخرج وأصبح محاميًا ـ إلا أنه غير راضٍ عن عمل والده كبواب .. وأن والده عندما سألوه عن ابنه قال لهم أن (الولد بيستعر منى) !

المفاجأة الثانية .

أنهم عثروا فى بيته عند تفتيشه على ٣ (جراكن) من ماء النار !

وبالإضافة إلى التحقيق الذى قام به رجال الشرطة معه فإن ملف التحقيق الذى أحيل إلى النيابة يحمل اعترافا كتبه المحامى الشاب .. عدو النساء !

يقول عدو النساء فى اعترافه الذى كتبه بخط يده :

(بدأت) الحكاية منذ الصيف الماضى عام ٢٠٠٠ عندما بدأت ألاحظ أعداد الفاسدات والمنحرفات فى منطقة الهرم وفيصل .. ولا يقوى أحد على منعهن عما يفعلنه .. وهذا يعتبر إفسادا للناس فى كل منطقة . إذا لم يقف أحد على هذه الظاهرة ويحلها . بالإضافة إلى ضعف العقوبات التى توقفهن عما يفعلنه .. لذلك بدأت الحكاية مصادفة مع أحد الصبية العاملين فى الميكانيكا قابلته فى أحد الشوارع المنيل وأنا ذاهب إلى البيت وقفت معه وقلت له : أريد ماء نار للتنظيف .. حيث لا يصلح للتنظيف غيره .

كان مع صبى الميكانيكى بطارية سيارة وزجاجة بها ماء نار . أخذتها منه وأعطيته جنيهين ، وقلت له : سأنتظرك غدا ومعى مبلغ كبير .. لكمية أكبر .

وقابلته فى اليوم التالى وأعطيته خمسة جنيهات ثمنًا لزجاجة بلاستيك مليئة بماء النار . حملتها معى أكثر من مرة للهرم وفيصل .. على أن أقذفها على إحدى بائعات الهوى !

ووجدت وأنا واقف على محطة الأتوبيس فتاة تيقنت أنها من هذه النوعية فتتبعتها حتى شارع معين ..

وقذفتها بها وجريت . وكان ذلك فى شهر يوليو أو أغسطس .

«ثم بعد ذلك مرة أخرى وأنا فى الهرم . فوجئت بإحدى تلك النوعيات الفاسدة تركب عربة دون سابق إنذار . وأنها من بائعات الهوى .. فقذفتها بكمية أخرى من النافذة بجانبها .. ومشيت ! بعد ذلك دخلت شارع فيصل ووجدت إحدى الفتيات الفاسدات . حتى اقتربت العربة منى .. وقذفتها بماء النار أيضًا من النافذة .

ولم أعلم ماذا حدث بعد ذلك .. لأن الزجاج كان مواربًا ثم مشيت فى طريقى للمنزل ..

وبعد ذلك كنت أنتظر الأتوبيس فى محطة الهرم عندما وجدت امرأتين فاسدتين ، فتتبعتهما حتى مسافة كيلومتر أو أكثر . ثم قذفتهما بماء النار وهربت .. وتمكن الناس من الإمساك بى واقتيادى للقسم .. ولم أتمكن من الهرب منهم بسبب كثرتهم .

إن هذه النوعية هدفها الوحيد النقود وإفساد الناس .. وكان لا بد من مواجهتهن بما يستحققنه . فالناس لا يستطيعون صدهن عن ذلك الطريق الشائن ولا تردعهن العقوبات البسيطة فى القانون عن ذلك . بل يعتبر هذا القانون تشجيعًا لهن على هذه الأفعال . ما دام أحد لا يقدر على إيقافهن » !

انتهى اعتراف حامل زجاجات النار .. هكذا !

* * *

هل هو شاب بائس .. وضحية قبل أن يكون مجرمًا ؟

هل دفعته ظروفه النفسية والاجتماعية .. إلى تقمص دور المصلح الاجتماعى ؟

ومن أعطاه الحق ليحكم على هذه الفتاة بأنها فاسدة .. أو أن تلك منحرفة ؟

وحتى إذا كان القانون ضعيفًا عن الردع .. فمن هو هذا الإنسان الذى يعطى لنفسه حق (تشريع وتنفيذ) قانون .. كل عقوباته (الحرق بماء النار) ؟!

لكن السؤال الأخطر : من .. الذى صنع عدو النساء ؟

لقد عثر رجال المباحث أثناء تفتيشه لبيته على مجموعة من الكتب ، لا شك أنها هى التى لعبت الدور الأكبر فى تشكيل .. هذا (الفكر المريض) !

عثروا على بعض الكتب فى التاريخ والقانون وغيرها .. لكن السواد الأعظم من هذه الكتب كان نوعية معينة وواحدة . تباع علنا على الأرصفة فى الشوارع . ويتهافت عليها المراهقون . كتب من عينة (أفظع الجرائم الجنسية) و(نساء عاريات) و(اغتصاب أوراق مجهولة) و(جرائم الحب) و(امرأة تزوجت الشيطان) و(زوجتى تكرهنى) .

ولنتوقف قليلاً عند أحد هذه الكتب وهو (أفظع الجرائم الجنسية) ..

ولن نستعرض نوعية هذه الجرائم وكيف أنها اختيرت بعناية ـ ودهاء ـ لإثارة الرغبة الجنسية فى نفس القارئ . ولن نتوقف أمام الرسوم الفاضحة التى تمتلئ بها صفحات الكتاب . يكفى فقط أن نتوقف عند بعض الفقرات .. لنرى ماذا قرأ .. وكيف فكر .. (عدو النساء) .

عن الاغتصاب وفى فصل عنوانه (دعوة للاغتصاب) يقول

المؤلف : هناك نساء كثيرات تعرضن لاعتداء جنسى لمرات عديدة . وفى واقع الأمر إن هؤلاء النسوة (يرغبن) أحيانًا فى ذلك . فبطريق مباشر أو لاشعورى تقوم المرأة التى ترغب فى أن تتعرض لاعتداء جنسى باستفزاز الجانى استفزازا جنسيًا . وهناك حقيقة علمية متصلة بذلك هذه الحقيقة لم تلق الاهتمام الذى تستحقه .

يقولها المؤلف بكل وضوح : ليس دائمًا الجانى هو المسئول عن الجريمة . أو ليس دائمًا مسئول (وحده) عن الجريمة بل فى أحيان كثيرة تكون الضحية هى المسئولة عن الجريمة . أو على الأقل تكون الضحية مشتركة فى المسئولية مع الجانى !

لكن ماذا يقول (عدو النساء) نفسه ؟

* * *

انتظرت عودته من النيابة حيث قرر قاضى المعارضات تجديد حبسه .

جاء وفى يديه القيود الحديدية ..

ولايزال وجهه يحمل آثار الضربات التى نالها من الناس فى الشارع عند القبض عليه .

● سألته : ما حكايتك بالضبط ؟

لم يكن يريد الحديث .. تردد كثيرًا .

ـ وأخيرًا قال : مجرد مصادفة .. لا أكثر .

● مصادفة أن تلقى بماء النار فى وجه كل هاتيك الفتيات ؟

ـ رد على الفور : أنا لم أفعل شيئًا من ذلك . كل ما حدث أننى وجدت فى (المكان الخطأ) كانت هناك مشاجرة اقتربت منها . ووجدت الناس يمسكوننى ويضربوننى ويستدعون الشرطة التى ألقت القبض على .

● الاعتراف .. الذى كتبته بخط يدك ؟

ـ لا تسألنى .. عن هذا الاعتراف !

● هل زارك والدك فى الحبس ؟

ـ كلا . فقط زارتنى أمى وأختى .

● هل ترضى أن يلقى أحد بماء النار على أختك ؟

ـ لا طبعًا !

● هل أنت راض عن التشويه والحروق التى حدثت للمجنى عليهن ؟

ـ اللّه أعلم .. كل واحد له قدره ونصيبه .



● هل أعطاك أحد مهمة تنفيذ العدالة نيابة عن المجتمع ؟

ـ لا .

● أنت محـــام .. وكــان ممكن أن تتولى الدفــاع عـن المتهـم ـ لو كان شخصا أحد غيرك ـ فى هذه القضية ؟

ـ نصيبنى كده !

● هل ستطلب محاميًا للدفاع عنك ؟

ـ أكيد .

● وهل سيتولى أستاذك المحامى الكبير الذى تعمل معه الدفاع عنك ؟

ـ مش عارف .. لقد زارنــى فـى الحبس وقــال لــى أنــه سيقف معى .. لكنى .. موش عارف !

بطل سطو غير مسلح .. على بنك !

سيد .. ليس ظاهرة بين شبابنا . لكنه الاستثناء وإفراز الظروف الصعبة والتخبُط فى التفكير .. لقد عاش حياة صعبة .. لكنه كان بينه وبين شاطئ الأمان عام دراسى آخر .. لم ينتظر واستسلم للشيطان .. كانت النتيجة المحتومة : فشلت مغامرته .. انهار مستقبله عند باب البنك !

الساعة تقترب من الثانية ظهرًا ، هى ساعة الذروة داخل بنك مصر فرع الجيزة .. زحام العملاء ، .. يريد كل منهم إنهاء معاملته قبل موعد إغلاق البنك الموظفون يتحركون هنا وهناك فى نشاط ، مجرد يوم عادى من أيام البنك الذى يحتل الطابق الأول من عمارة سكنية كبيرة فى ميدان الجيزة .

كل واحد يقف فى مكانه .. أى حركة سوف أنسف البنك بمن فيه ! »

ارتفعت تلك الصرخة الهستيرية فجأة وحل الصمت والذهول على كل المتواجدين فى القاعة الرئيسية للبنك واتجهت الأنظار مشدوهة نحو مصدرها ..

شاب قمحى اللون فى العشرينات . نظراته حادة مشدودة صوته متوتر يمسك فى يده (ريموت كنترول) ويشير إلى حقيبة (هاندباك) زرقاء اللون ملقاة على الأرض على بعد خطوات من

قدميه . من فتحة الحقيبة تبرز بعض أصابع بنية اللون تشبه تمامًا أصابع الديناميت !

● فين مدير البنك ؟

هكذا صرخ الشاب المجهول فى الجميع ، وعندما اتجه له مدير البنك قال : « فى يدى جهاز (ريموت كنترول) أى حركة غير عادية سوف أضغط على الزر وأفجر البنك بمن فيه . »

● سأله مدير البنك : طلباتك ؟

ـ رد الشاب بتوتر : فلوس .

● عاد مدير البنك ليسأله : « فلوس كم يعنى .. مليون ؟ »

ـ لم يرد الشاب ..

● سأله مدير البنك : « ١٠٠ ألف جنيه تكفى ؟ »

ـ لاذ الشاب بنفس الصمت وكأنه لا يعرف ماذا يريد بالتحديد ..

● عاد مدير البنك ليقول له : يمكن أن أوفر لك ٥٠ ألف جنيه خلال دقائق .

ـ صرخ الشاب المجهول فى وجهه : إذن بسرعة !

مضى مدير البنك إلى باب جانبى فى هدوء .. داخل هذه

الحجرة لا توجد خزينة البنك ، وإنما جهاز تليفون لم يتردد مدير البنك الشجاع من الإمساك به ، وطلب رقما معينًا يحفظه عن ظهر قلب .

● سيدى الضابط : البنك يتعرض لسرقة مسلحة !

* * *

وضع رئيس مباحث قسم شرطة الجيزة سماعة التليفون مذهولاً . وبحس رجل المباحث لم ينتظر ليجرى اتصالاته مع قيادته الأعلى . بل اندفع نحو سيارته بسرعة شديدة متجًا إلى البنك الذى لا يبعد عن قسم الشرطة كثيرًا . وفى الطريق ومن خلال جهاز اللاسلكى الذى يحمله أجرى هذه الاتصالات بمدير المباحث ومدير الأمن الذى رفع سماعة تليفونه ، واتصل فى الحال بوزير الداخلية .

وكانت تعليمات اللواء حبيب العادلى حاسمة .

● سلامة الناس عندى أهم من أى شىء . أنتم تعرفون جيدًا كيف تتعاملون مع مثل هذه المواقف . لكنى أرجو ضبط النفس إلى أبعد حد . أريد فورًا (كردون) أمنى حول البنك وإخلاء الشوارع المحيطة به . وأيضًا إخلاء العمارة التى يقع بها البنك لا أريد أن يتعرض مواطن واحد للإيذاء .. مفهوم ؟

خلال دقائق ..

كان مدير مباحث قسم شرطة الجيزة الشاب قد وصل إلى البنك مع اثنين من معاونيه ليجد أن سيارة دورية الشرطة قد سبقته ووقف ضباطها خارج البنك .

● دخل ضابط المباحث ليجد نفسه فى مواجهة لص البنك مباشرة . تفحصه جيدًا . ومن الوهلة الأولى أدرك أنه ليس لصا محترفًا . ومع ذلك فالشاب ثابت الأعصاب رابط الجأش . هل هو إرهابى مدفوع ؟

ـ كل هذه الأسئلة دارت بسرعة فى ذهن رئيس المباحث .. الذى حاول أن تكون ملامح وجهه هادئة إلى أبعد الحدود .

● وسأل الشاب المجهول : من أنت ؟

تململ الشاب فى وقفته ..

ـ ورد على ضابط المباحث بعصبية .. موش شغلك .. اللى لازم تعرفه إنى لو رفعت يدى عن زرار (الريموت كنترول) حاينفجر المكان ده كله . وكل الناس حاتموت .. أنا وأنت معهم !

● قال له ضابط المباحث : « وحاتستفيد إيه لما تموت ؟ قل لى أنت لوحدك ولا معاك حد تانى ؟ »

ـ كان ضابط المباحث فى الحقيقة يستدرج الشاب ويريد المزيد من الوقت لحضور القوات المساعدة وخبراء المتفجرات الذين طلبهم .

● رد الشاب : « أنا من جماعة إرهابية .. ومعايا مجموعة خارج البنك ولو ماطلعتش بشنطة الفلوس أى حد حايخرج من البنك حايتقتل فى الحال ! »

* * *

كان الموقف رهيبًا فعلاً ..

وكان العرق قد بدأ يتصبب من وجوه العملاء والموظفين الذين تسمروا فى أماكنهم من الذعر . وفهم معاونا ضابط المباحث من تحركاته ماذا يريد ، وكان يتحرك خطوة بعد خطوة فى هدوء وفى اتجاه معين فكانوا يتحركون بهدوء مثله . كان يريد أن يبعد أنظار لص البنك عن حقيبة المتفجرات ! ويخفيها بعيدًا عن مدى بصره .

وعندما نجحت الخطة البسيطة ولم يعد اللص الشاب فى إمكانه رؤية حقيبة المتفجرات بدأ ضابط المباحث يتجه نحوه .

ـ وصرخ فيه الشاب .. لكنه بحركة مباغتة استدار وقفز ناحية اللص ، وقبض على يده التى تمسك بالريموت كنترول بشدة . وفى نفس اللحظة كان أحد معاونيه قد أمسك بالحقيبة واندفع به إلى خارج البنك حيث تركها على الأرض أمام خبير المتفجرات الذى بدأ بانتزاع بعض الأسلاك الكهربائية منها .

كان اللص المجهول يقاوم بشدة قبضة ضابط المباحث لكنها كانت أشبه بقبضة من (الحديد) .

عندما انتهى خبير المفرقعات من فحص الحقيبة رفع قامته وهو يحمل فى يده أصابع الديناميت .

● وقال لمدير الأمن وهو يبتسم : ده موش ديناميت يا أفندم .. دى أصابع سيجار !

* * *

القاهرة .. ليست شيكاغو !

ونحن لانعرف مثل هذا النوع من السرقات .. صحيح أن الحادث كشف سرعة تحرك رجال الأمن ـ من كبيرهم إلى صغيرهم ـ وقدرتهم التى لا شك فيها على التعامل مع مثل هذه الحوادث أو غيرها .. وقد نجح رجال الشرطة فى إثبات ذلك لكن تبقى الأسئلة الأكثر أهمية !

● من هو لص البنك المجهول ؟

وكيف فكر فى هذه الوسيلة الجهنمية للسرقة ؟

وما هى دوافعه الحقيقية ؟

ذلك دور الصحافة ..

(أخبار اليوم) بالذات !

★ ★ ★

لا يمكن أن يكون (لص بنوك) !

ولا يمكن أن يكون طالبًا جامعيًا .. ولكنه كذلك فعلاً !

إنه يبدو مثل العمال البسطاء الذين نشاهدهم فى ورش الميكانيكا أو غيرها !

يبدو مثل صعلوك فقير .. لا هدف له ولا عقل منظم !

كان هذا هو انطباعى عندما التقيت بالشاب سيد على عبد اللّه ـ ٢١ سنة ـ صاحب مغامرة محاولة سرقة البنك .

لماذا فعلتها ؟

سألته .. فبكى !

أطرق برأسه إلى الأرض ، ودفن وجهه بين يديه ، وانخرط فى البكاء .

ـ ثم قال : أنا لست لصًا ، أنا مأساة تمشى على قدمين ، الفقر والحرمان هما المتهم الحقيقى . اقبضوا عليهما وحاكموهما بدلاً منى ، إننى لم أوذ إنسانًا واحدًا فى حياتى . لكن لا أعرف كيف انتهى بى الأمر إلى هذا ، وكيف قضيت على مستقبلى ، بعد أن قضى الفقر على ماضى حياتى البائسة !

وبدأ اللص الشاب يروى مأساته ..

أنا من أسرة تعيش (تحت خط الفقر) فى منطقة (الملقة) بحى دار السلام الشعبى ، معاش والدى كان بسيطًا لا يستطيع الوفاء باحتياجات الأسرة ، تطوع بعض أصحاب الخير لنا بفاترينة نبيع فيها الجرائد وحلوى الأطفال ، لم أعش طفولتى مثل أى طفل فى عمرى ! اشتغلت وعمرى ٩ سنوات فى ورشة سمكرى ، كان لدى الأسطى جهاز تلفزيون فى المحل وكان إذا لمحنى أشاهد الفوازير خلسة ، كان يضربنى بالشاكوش على رأسى انتقلت من ورشة إلى أخرى ، ومن عذاب إلى عذاب !

★ ★ ★

يكمل (اللص المأساة) .. حكايته ..

وأصيب أبى بمرض السكر ، وتعرضت قدمه للغرغرينة ونقلناه إلى المستشفى . حيث أجريت له عملية بتر لقدمه وأذكر أننى عندما ذهبت إلى المستشفى فوجئت بخالى يحمل لفافة ثقيلة طلب منى أن أحملها وأمضى معه . انطلقت ناحية المقبرة وأخذ منى خالى اللفافة وأعطاها للحانوتى الذى وضعها فى مقبرة .

● سألت خالى : ما هذه التى دفناها ؟

ـ قال باقتضاب : رجل أبوك !

ومضت الحياة ؟ من سيئ إلى أسوأ ، خرج أبى من المستشفى بقدم واحدة وعكاز ، حاولت أن أساعده قدر جهدى لكنى فى أعماقى كنت أخفى حقدى على وضعنا السيئ فى هذه الحكاية ، لماذا لم يكن أبى مليونيرًا ، أو حتى رجلاً مستورًا ، لكى نعيش مثل كل الناس كنت صبيا محرومًا وشقيا لدرجة أننى بدأت أكره أبى عندما مات لم أستطع البكاء عليه ، الآن فقط أدركت أن هذا الرجل أعطانى حياته وبذل كل جهده حتى آخر لحظة له فى هذه الحياة الآن فقط أبكى وأترحم عليه !

* * *

حكاية سيد أنقلها بلامبالغة ولاتهويل ..

يكمل قائلاً : استمرت معاناتنا بعد وفاة أبى ، نجحت فى الثانوية العامة والتحقت بكلية التربية فى أسيوط لم يكن فى استطاعة أمى أن تدبر لى مصاريف المدينة الجامعية ، كنت أقيم فى حجرة (على البلاط) إيجارها ٢٠ جنيهًا تبعد عن الجامعة كثيرًا ، وكان الفول هو إفطارى وغذائى وعشائى ، رغم ذلك نجحت من سنة إلى أخرى ، آخر نتيجة لى كانت (جيد جدًا) ونقلت أوراقى إلى جامعة حلوان ، لكنى لم أستطع مواصلة الدراسة وشراء الكتب ، اشتغلت كعامل فى (سوبر ماركت) وكان عصام المدير يعطف على ويساعدنى ، تمنيت أن أكون غنيًا لأساعد الفقراء كلهم ، لم يكن عندى سوى الأمانى التى لا تتحقق .

● كيف خطرت على بالك فكرة سرقة البنك بالمتفجرات ؟

ـ ذات يوم شاهدت فيلمًا أجنبيًا عن رجل وزوجته وصديقها يسرقان بنك بالتهديد بالمتفجرات ، أعجبتنى الفكرة ، ظلت فى رأسى أيامًا ، لا أعرف كيف وسوس لى شيطانى بأن أنفذها !

أسأل سيد : لو كانت فكرتك قد نجحت .. ماذا كنت ستفعل بالملايين التى كنت ستحصل عليها ؟

ـ لا يرد ..

● يهمس لنفسه ساخرًا : ملايين ؟

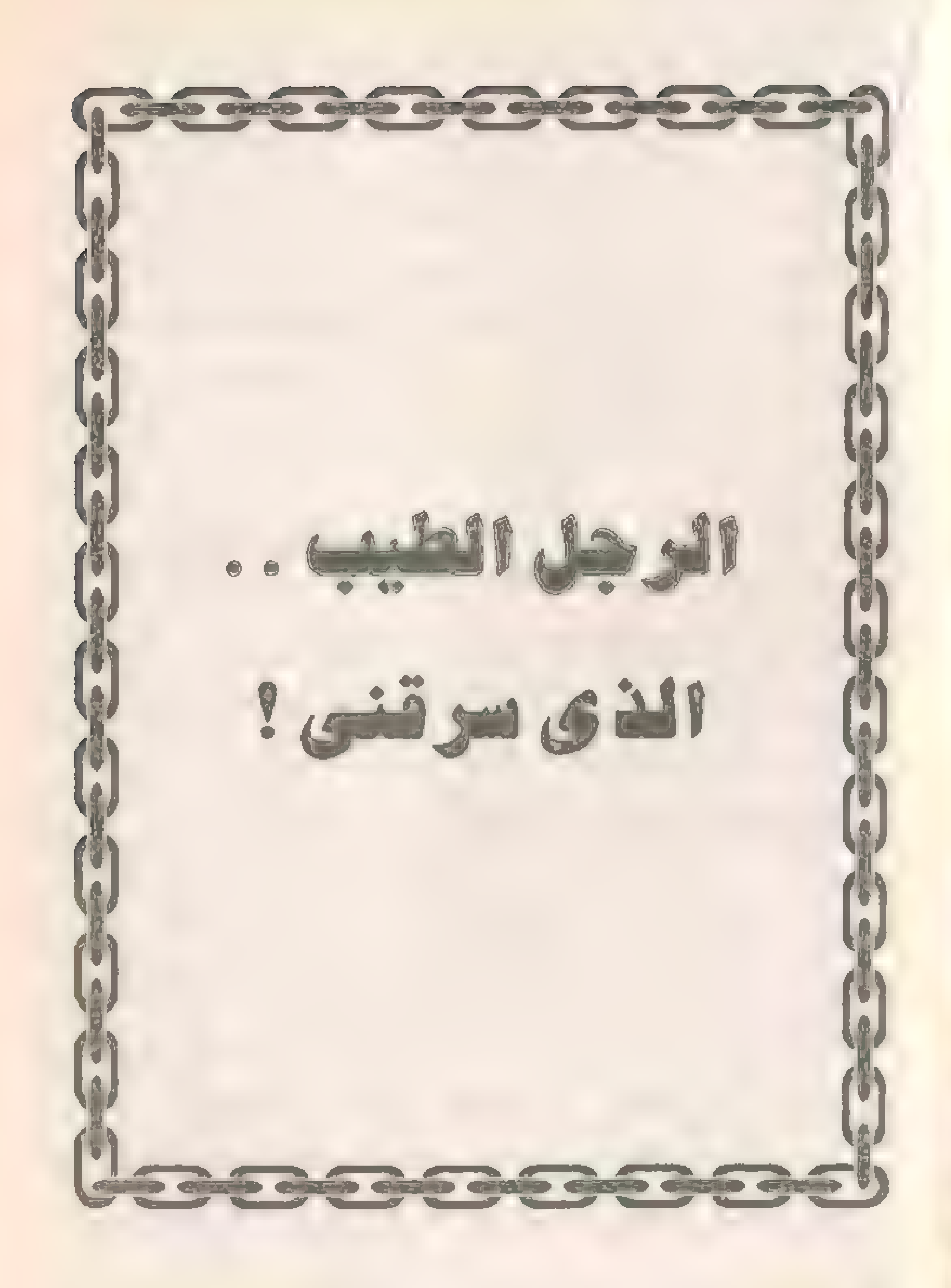
ثم يشير بإصبعه نحو حذائه .

ويقول لى : انظر إلى الحذاء الذى كنت أرتديه ساعة دخولى البنك .

وانظر ..

لأجد أصابع سيد تخرج من طرف الحذاء .. (المخروم) !

* * *



● (اليوم من أوله كان باين) !

تلك هى الحقيقة التى أدركها المهندس ماجد بعد ساعات . ذلك أنه لم يكن يتفاعل أبدًا بأى مشاجرة تدب بينه بين زوجته (على الريق) قبل أن يغادر البيت فى الصباح .. قاد سيارته متجهًا إلى عمله فى عصبية ، وهو يزفر كل لحظة ويتمتم : يا فتاح ياعليم يارزاق يا كريم .

* * *

ظل شعور الضيق يلازمه حتى انتهى من عمله !

ولم يعد مباشرةً إلى البيت ، بل قاد سيارته إلى حى الزمالك .. حيث كان قد استأجر مؤخرًا محلاً فكر فى أن يبدأ به مشروعًا تجاريًا إلى جانب وظيفته الأساسية .. وعندما وصل إلى المحل وجد العمال مازالوا يقومون بعملية الطلاء .. وقف معهم لدقائق وعندما أخبروه أنهم يحتاجون إلى كمية من الأسمنت .. قرر أن يذهب لشرائها بسيارته من محل متخصص فى حى بولاق .

لكن ما إن دلف إلى سيارته .. حتى سمع صوت يد تنقر على زجاج السيارة ، نظر فإذا رجل فى الخمسينيات من عمره .. يرتدى (جلابية) بيضاء نظيفة ، ويضع على رأسه شالاً أبيض ، وتكتمل الصورة بلحية بيضاء ، أعطت لصاحبها شكلاً مميزًا خاصة أنه كان يمسك فى يده مسبحة وفى اليد الأخرى نسخة من القرآن الكريم !

وللوهلة الأولى ظن المهندس ماجد أن هذا الرجل شحاذ .. فوضع يده فى جيبه وأخرج جنيهًا ثم فتح زجاج نافذة السيارة ومد يده بالجنيه للرجل .. لكن الرجل الذى يرتدى (أبيض فى أبيض) هز رأسه وهو يبتسم ابتسامة لطيفة .. وأشار بيده رافضًا تناول الجنيه . وقال لماجد بصوت كله طيبة وخشوع : لا يا بنى .. ما جئت لآخذ منك .. بل لأعطيك !

حدق المهندس ماجد فى وجه الرجل الطيب غير مستوعب للجملة الغريبة .. واستطرد الرجل الطيب قائلاً فى لهجة هى خليط من اللغة العربية ولغة أبناء الخليج : يا بنى .. وفى السماء رزقكم وما توعدون .. وأنت إنسان طيب ابن حلال .. ولقد أرسلنى الله لك بالبشارة !

كان الموقف غريبًا .. ورغم أن ماجد مهندس شاب جامعى .. وله خبرة فى الحياة .. إلا أن إحساس الضيق الذى كان لا يزال يلازمه من الصباح جعله يغلق عقله ويفتح أذنيه للرجل الطيب الغريب .. الذى سرعان ما اتسعت ابتسامته الحلوة .. وقال لماجد : افتح يديك يا ولدى .

ورغم أن ماجد لم يتعود تنفيذ الأوامر ـ وبالذات من الأغراب ـ دون مناقشة إلا أنه لا يعرف لماذا فتح يديه فى استسلام .. وهنا

أخرج الرجل الذى يرتدى (أبيض فى ابيض) من جيب جلبابه الأبيض قلمًا من النوع الجاف .. ثم هزه فوق يدى ماجد الممدودتين .. ولذهول ماجد وجد ماء قراحا يتساقط من القلم الجاف على يديه !

كانت حركة .. أشبه بالسحر .. فالقلم أمام عينى ماجد ملىء بالحبر الأسود .. فكيف ينزل منه هذا الماء ؟ وقبل أن يفكر أو حتى يفيق من دهشته .. قال له الرجل الطيب : امسح وجهك ورأسك بهذا الماء الطاهر .. حتى تذهب كل همومك .. وبلا تفكير مسح ماجد وجهه ورأسه بقطرات الماء ! وفيما بعد قال لى ماجد : حتى هذه اللحظة لا أستطيع الوصول إلى تفسير لما حدث .. فما إن مسحت وجهى ورأسى بهذا الماء .. حتى شعرت بإحساس غريب غامض .. شعرت وكأننى منوم مغناطيسيًا .. وتلاشت إرادتى تماما .. وتحولت إلى تمثال حى ينفذ الأوامر دون تفكير !

واتسعت عينا الرجل الطيب وبرقت بنظرات غريبة عميقة .. تغيرت فى صوته نبرة الخشوع لتختلط بلهجة الأمر .. وقال لماجد : انزل من السيارة .. وتعال معى يا ولدى لتذهب إلى محلك وسوف أردد داخله بعض الدعوات الخاصة التى لا يعرفها أحد

لتحل البركة على المحل ويغمره الرزق الوفير !! وكالمسحور نزل ماجد من السيارة .. ودخل إلى المحل حيث كان العمال يواصلون عملهم .. وأخذ الرجل الطيب يتجول فى أركان المحل ، ويتوقف فى كل ركن وهو يتمتم بأدعية بصوت هامس .. وأخيرًا سجد فى وسط المحل .. ووضع رأسه على الأرض .. وبدأ جسده يتشنج وكذلك صوته وأخذ فى الدعاء وهو يبكى بالدموع .

ـ يارب الأرض والسماء .. ارزق صاحب هذا المكان رزقًا وفيرًا حلالاً .

ـ يا خالق الجبال والبحار .. يا قادرا على كل شىء .. ابعد أولاد الحرام عن هذا الإنسان الطيب . كل ذلك وماجد (متسمر) فى مكانه من الذهول ..

وأخيرًا نهض الرجل الطيب وانصرف متجهًا إلى خارج المحل وأسرع ماجد خلفه فى فضول .. قال له الرجل :

أخرج كل ما فى جيبك من نقود ! وبلا مناقشة على الفور وضع ماجد يده فى جيبه وأخرج رزمة أوراق مالية كان يعرف عددها قال للرجل هذه ٤٠٠ جنيه .

قال له الرجل الطيب : هات منها حق اللّـه .. أيضًا دون تفكير أخذ ماجد (كبشة) من الأوراق المالية تصل إلى حوالى ١٠٠ جنية وقدمها للرجل الطيب .. ونظر الرجل إلى النقود وقال لماجد : ياه يا ابن الحلال ..

كل هذا المبلغ تقدمه طواعية لوجه اللّه ، إنك ابن حلال فعلاً .. خدها يا ولد .. اللّه يعطيك ولن يأخذ منك مليمًا واحدًا !

ولدهشة ماجد وجد الرجل الطيب يعيد اليه المائة جنيه .

★ ★ ★

حكى ماجد تفاصيل ما حدث فى البيت .

ترك الرجل الطيب الذى كان قد أخبره فى الطريق أن اسمه الشيخ صالح ، وأنه ينتمى إلى إحدى الطرق الصوفية الرفاعية .. وتركه فى صالون البيت ودخل إلى زوجته التى كانت قد أسرعت إلى حجرة الطفلين عندما سمعت صوت زوجها يدخل البيت مع شخص غريب .. كانت لاتزال غاضبة من تأثير مشاجرة الصباح .. أعطت ظهرها لزوجها وهى تتظاهر بإطعام أحد الطفلين .

.. قال لها ماجد : عندنا ضيف .. فلم ترد .. عاد ليقول لها : إنتى لسه زعلانه .. عيب كده .. بأقولك عندنا ضيف .

ـ سألته فى صوت جاف : ضيف مين ؟

وجد نفسه غير قادر على إجابة سؤالها .. كيف يخبرها أنه أحضر للبيت شخصًا لا يعرفه ، والتقى به لأول مرة منذ ساعة واحدة .. وبسرعة لفق حكاية وهمية ..

قال لها : ده رجل طيب من أولياء اللّه الصالحين .. قابلته وأنا بأصلى الظهر النهاردة فى سيدنا الحسين ، وقرأ لى أدعية كويسة فى المحل .. قلت أجيبه يقرأ لنا فى البيت .. يمكن يطرد الشيطان اللى مخلينا نتخانق كل شوية !

★ ★ ★

جلس ماجد وزوجته على مقعدين متجاورين لا يفصل بينهما وبين الرجل الطيب الشيخ صالح سوى مائدة الصالون .. ونظر الشيخ إلى زوجة ماجد وأغلق عينيه فى تأثر .. وهو يقول : باسم اللّه ما شاء اللّه .. الطيبات للطيبين .. زوجتك يا ولدى تدل أساريرها على أنها لا تقل عنك فى الطيبة والورع .. اللّه أكبر !

وهنا انفرجت أسارير الزوجة وقالت للشيخ صالح : أعمل لك شاى يامولانا ؟ هز الشيخ صالح رأسه رافضًا .. وقال لها : كريمة من بيت كرم يا ابنتى .. لا أريد شايًا ، فقط هاتى كوبًا به بعض الماء ، وقليل من الملح ورغيف عيش !

وأسرعت زوجة ماجد إلى المطبخ لتحضير المطلوب .. وعادت بسرعة .. فوضع الشيخ صالح الملح فى الكوب وأذابه بملعقة صغيرة ، ثم قطع قطعتين صغيرتين من رغيف العيش ، ووضع إحداهما فى كوب الماء المملح وأخرجها بسرعة .. وقال لماجد : افتح بقك !

فتح ماجد فمه فألقى الشيخ بقطعة الخبز الصغيرة فيه .. ثم كرر نفسه الشىء مع زوجة ماجد

★ ★ ★

المشهد الغريب يقترب من أكثر المناطق إثارة .. ولكن عندما فوجئ الشيخ صالح بالطفلين الصغيرين يخرجان من غرفتهما ويجلسان معهم فى الصالون .. ارتبك !!

وقال لماجد : أدخل الطفلين حجرتهما .

ولكن زوجة ماجد ردت بتلقائية : أنا مابا أسييش الأولاد لوحدهم !

ويبدو أن الشيخ صالح كان من النوع الذى لا يعترف بمشكلة بسيطة مثل هذه إذ سرعان ما واصل عمله .. وقال للزوجة : من فضلك .. هاتى ٣ إيشاربات .. ودخلت الزوجة حجرتها وعادت

لتضع الإيشاربات الثلاثة على المائدة أمام الشيخ صالح .. فقال لماجد : ضع كل نقودك فى أحد هذه الإيشاربات وأخرج ماجد مبلغ الأربعمائة جنيه ووضعها وسط الإيشارب .. لكن الشيخ صالح قال له وكأنه يشخط فيه : لا ادخل هات كل الفلوس اللى عندك فى البيت .. ونهض ماجد وسار نحو حجرة نومه أمام زوجته التى أصبحت مثله مسلوبة الإرادة ، وأمام الطفلين الصغيرين اللذين كانا يتابعان ما يحدث فى دهشة .. ودون أن يفهما شيئًا !

كان كل ما فى بيت ماجد ١٢٠٠ جنيه أحضرها بسرعة ووضعها مع بقية النقود فى وسط الإيشارب .. ونظر الشيخ صالح إلى زوجة ماجد .. وقل لها : وأنت يا بنيتى .. هات كل مجوهراتك وضعيها وسط هذا الإيشارب الثانى .

وكالمنومة مغناطيسيًا سارت زوجته إلى حجرة النوم .. وسرعان ما عادت وهى تحمل (شكمجية) مجوهراتها .. والتى تزيد قيمتها على ١٠٠ ألف جنيه .. ومن بينها شبكتها الألماظ والتى ذكر لى ماجد أن سعرها لا يقل عن ٤٠ ألف جنيه ووضعت كل ذلك وسط الإيشارب الثانى .

وفى صوت مهيب قال الشيخ صالح للزوجين : يا أولادى .. فى حياتكم ثلاث عقد خفية .. هى التى تنغص عليكما حياتكما .. لكن

لأنكما أولاد حلال .. سأحل بإذن الله هذه العقد .. وأمسك بالإيشارب الثالث ، وقام بعمل ثلاث عقد فيه ، بل إنه طلب من ماجد أن يساعده فى إحكام ربط هذه العقد ، ثم بحركة تمثيلية درامية طوى الإيشارب ووضعه داخل المصحف ، وأخذ يتمتم ببعض الأدعية ، وبحركة خاطفة نزع الإيشارب من المصحف ورفعه فى الهواء أمام عينى الزوجين .

★ ★ ★

وصرخ الاثنان : لا إله إلا الله .. مش معقول .. ذلك أن العقد الثلاث .. كانت قد انفكت !

المشهد الأخير حدث بسرعة خاطفة .. فقد وضع الشيخ صالح يده على الإيشارب الذى بداخله النقود ، وأخذ يتلو بعض الأدعية ، ثم طوى الإيشارب الثانى على المجوهرات ووضعه مع النقود .. ثم طوى الايشارب الأول الذى أصبح بداخله النقود وإيشارب المجوهرات ، وعاد من جديد يتلو بعض الأدعية .. وأخيرًا تنهد وهو يقول : البركة حلت يا أولادى على نقودكم ومجوهراتكم .. حفظها الله لكما !

وقبل أن ينطق ماجد أو زوجته بكلمة واحدة .. سأل الشيخ صالح : هل لديك مكان أمين فى البيت ؟ رد ماجد : أيوه .. دولاب

الملابس فى حجرة النوم .. فقال له الشيخ صالح : خذنى إليه . وسار ماجد منومًا نحو حجرة النوم ومن خلفه الشيخ صالح ، وعندما توقفا أمام الدولاب : أعطاه الشيخ صالح الإيشارب .. وقال له : ضع بيديك الإيشارب الذى توجد به نقودكما ومجوهراتكما ، لكن لا يجب أن يلمسها أحد قبل مرور أسبوع !

★ ★ ★

هبط ماجد مع الشيخ صالح ليوصله لكنه عندما وصلت السيارة منتصف كوبرى عباس بين حى المنيل والجيزة فجأة ودون مقدمات .. قال له الشيخ : قف هنا .. وبمجرد أن أوقف ماجد السيارة هبط منها الشيخ صالح فى لهفة .. فسأله ماجد : على فين يا شيخ صالح ؟ قال له الرجل الطيب : بلاد الله لخلق الله .. طريق السلامة يا بنى .

وعندما سار ماجد بالسيارة أمتار قليلة ، ونظر فى مرآة السيارة .. كان الشيخ الطيب قد اختفى وكأنه قد تبخر وتلاشى فى السماء .. وعندما عاد ماجد إلى البيت .. سمع صراخ زوجته فى الشارع ، بعد أن اكتشفت أن الشيخ صالح لهف كل مجوهراتها ، وترك النقود لكنه أخذ منها مبلغ ٥٠٠ جنيه !

وبعد أن انتهى ماجد فى مساء نفس اليوم من تحرير محضر بالواقعة أمام العميد محمود حزين مأمور قسم شرطة مصر القديمة .. عاد ليجد أن زوجته قد انصرفت ومعها الطفلان ..

* * *

فى صباح اليوم التالى .. وبعد أن فشل فى العثور على صورة الشيخ صالح ضمن قائمة صور المحتالين والنصابين التى عرضها عليه المقدم علاء السباعى فى وحدة النصب والاحتيال .. بعد أن اهتم اللواء سيف حسين مساعد الوزير ومدير أمن القاهرة بالواقعة الغريبة .. وبعد أن ترك ماجد مكتب معمر الدمرداش رئيس نيابة مصر القديمة الذى أحيل إليه محضر الحادث .. وذهب إلى بيت حماه ليصالح زوجته ويعود بها إلى البيت .. فوجئ بأن الزوجة ستطلب من المحكمة الطلاق .. لأنه عرض حياتها وحياة طفليها للخطر .. بإدخاله شخصًا غريبًا ولصا خطيرًا إلى بيت الزوجية !

* * *

ـ ألم يفعل الشيخ صالح شيئًا آخر غريبًا قبل أن ينصرف من بيتك ؟

قال : نعم .. لقد طلب من زوجتى أن تغسل جيدًا كوب الماء الذى أذاب فيه الملح .. ولا أعرف لماذا طلب ذلك .

ـ سألنى : لماذا ؟

ـ قلت له : حتى تغسلوا بصماته .. من على الكوب !

* * *

أشهر الحوادث والقضايا

الحوادث العنيفة والقضايا المثيرة التى روّعت الناس وصدمت المشاعر

- الملوك والأمراء لايختلفون كثيراً عن الناس العاديين فى حياتهم، ولافى دراما الحياة والواقع التى تعصف بأحوالهم أحياناً.
- الملوك والأمراء يقعون فى الحب ويتزوجون ويعيشون السعادة ويتجرعون التعاسة، يعرفون الزواج ... وأيضاً الطلاق!
- وفى هذا الكتاب يروى محمود صلاح أشهر كتّاب الجريمة والقضايا فى العالم العربى حكاية زواج وطلاق الملك أحمد فؤاد المثيرة!
- و .... حوادث أخرى.



الثمن فى مصر ٣٠٠ قرش
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة

